روايات مصرية للجيب

الطارق 1

د. سيد زهران

فريق متميزون

E-BOOK

البرزخ

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة الطارق
٠١

البـــــــرزخ

د. سيد زهران

تنويه..

هذه السلسلة من وحي خيال المؤلف تمامًا، وأي تشابه فى الأحداث أو الأسماء بينها وبين الواقع هو من سبيل الصدفة..

المؤلف

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المقدمة

شخصيات كثيرة مَرت من هنا، منها الذي اختفى، ومنها الذي مازال، ومنها الذي لم يأت دوره بعد.

سؤال.. من هو الوغد أو الشخص الذي لا تستطيع نسيانه بسهولة..؟

لا أعرف تحديدًا كيف أصفه كما فعل (فرويد).. (ادلر).. (سبنسر).. فهم حتما يُجيدون تلك الأمور.

لكنى أعتبره ببساطة ذلك الشخص الذي عندما تعود إلى المنزل تظل تفكر فيه، القريب من عقلك لدرجة عدم الفكاك، المؤثر لدرجة الغيظ.

إنه الشخص الذي عندما تريد أن تلفظه عن رأسك لا تستطيع، مثالى.. متفوق.. مغرور.. أو حتى مر فى حياتك لثانية واحدة، المهم أن بصمته النفسية أقوى من عدم التذكر.

(طارق عبد الملك) طبيب حالات حرجة مُتحمس، من تلك النوعية التي عندما تتواجد فى مكان تُشعله!.. يتهامسون سرًّا عن نحسه، لكن الرجل كان ينظر للأمور من زاوية مُختلفة، تتلخص فى أن المتاعب لا تأتى إلا لمن يستحقها.

أطلق عليه أصدقاؤه مُبكرًا اسم (الطارق)، لأنه كان يحب المُغامرة.. ويستدعى كل الأخصائيين ليلًا بوقاحة!.. دون خوف.. ولو حتى قبل الفجر!

غرفة الطوارئ تمتلئ بالكثير من المرضى التي قد لا تتذكرهم، البعض يتكلم.. البعض يهذي.. البعض يبقى صامتًا إلى الأبد.

لكن دائمًا هناك نوعية تبقى.. تجرك لعالمها..!

نوعية تكون فى أضعف حالاتها الإنسانية مما قد يُضفى عليها قدرًا من الصدق.. فتعلق فى ذهنك وتظل تُفكر فيها.

قبل النوم عادة ما يمسك (طارق) يومياته التي تحمل عنوانًا كبيرًا بخط يدوى أحمر.. (أوغاد فى حياتى)..!

هناك يبدأ التفريغ.. ويختلط خياله بالواقع لدرجة أنك قد لا تعرف أين الحقيقة، إنها وسيلة هروب (طارق) لجعل حياته أكثر احتمالًا.. والخَلاص من تلك الوجوه التي تُطارده.

حديث البداية سيكون عن الأنفس البرزخية.. هل تُؤمن بوجودها..؟

يُقال إنها تظل مُعلقة دون رحيل..

أنفس تُصر على أن مهمتها لم تنتهِ بعد..
تحمل شيئًا أخيرًا لم تقله..
وطيلة الوقت تحاول إخبارنا به..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

1 - تعارف مُمِل..

المعادى.. كلمة لها واقع خاص فى نفوس الجميع، الحى الهادئ الأخضر، والذي طالما داعب عقولنا جميعًا السكن فيه، عَل الأمر يتعلق بالمغامرين الخمسة وكلبهم الذكى (زنجر).. والذين كانوا يتسكعون طيلة اليوم بدراجاتهم فى الشوارع باحثين عن لغز.

يقف (طارق) فى شرفة منزله المكون من ثلاثة طوابق قديمة، يرمق الشارع وأوراق الأشجار التي بدأت تتساقط، إنها أجواء شهر سبتمبر الغامضة، كُنت أميزها دائمًا بالعديد من الأشياء.

النسمات شبه الباردة، بداية الهدوء والذهاب إلى المدارس، رائحة شطائر الطعمية والممحاة (الأستيكة) الجديدة التي تظل عالقة بالحقيبة المدرسية.

فقد كان يكفى وضع شطيرة واحدة بين الكتب لتظل الرائحة تُطاردك طيلة العام..!

عندما كانت تظهر كل تلك الأعراض، تعرف أن العام الدراسى قد بدأ.. وبدأ معه كل شىء.

البرد.. الأمطار.. الدروس الخصوصية.. قراءة الروايات خلسة ليلًا، أضف طبعًا قائمة المحرمات إياها التي يفرضها أى ولى أمر تربى على النظام القديم، فكل شىء لابد وأن يُؤجل لعطلة آخر العام.

لم يعرف (طارق) لماذا انتابته كل تلك المشاعر الآن فجأة، علها بوادر رياح الشتاء، أو افتقاده لإحساس الصغر حينما كان يرى كل شىء غير ملوث بعد.

سأعرفكم به حالًا..

(طارق عبد الملك) شاب عادى جدًّا، لكن رغم كونه طبيبًا شابًّا.. وطيلة حياته يلعب دور الطالب المُتفوق السخيف، إلا أنه دائمًا ما كان يرى نفسه إنسانًا لم تكتمل تجربته بعد.

حاول كثيرا إيجاد مُبرر منطقى لذلك الإحساس بعدم الرضا تجاه ذاته، لم يستطع، هنا قرر إراحة ضميره وتحميل الآخرين السبب.

تعرفون طبعًا تلك المُبررات الصالحة للاستخدام دائما مثل.. الأسرة.. المجتمع.. المناخ العام، إلى آخر تلك القائمة التي يحفظها كل فاشل جيدًا، لكن بمرور الوقت مَل تلك المهزلة وعاد للبحث.

خطرت له فكرة، أحضر ورقة وقلم، وأخذ يحاول رسم ملامح واضحة لشخصيته مثل الأهداف، الصفات، ماذا يُحب؟.. يكره؟.. إلى آخر تلك الخزعبلات، فانتهى إلى العدم!

لم يستطع كتابة شىء مُتماسك يفخر به..

وجد نفسه صورة باهتة من كل شباب جيله، يكفى أن تدخل مقهى إنترنت لتتعرف على شاب واحد فقط هناك، حينئذ تكون قد تعرفت عليه!

وبما أنه عقلية تحليلية، انتقل سريعًا للخطوة التالية، حاول فهم نفسه علميًّا.. فجلب بعض الكتب..

« الطبيعة الإنسانية - ألفريد إدلر »

« أبعاد الشخصية - هانز إزنك »

« الإبداع - ميهالى تسيكسينتميهالى »

وكتبًا أخرى كثيرة، أنصح بالابتعاد عنها جميعًا، خاصة فيما يتعلق بذلك الأخير، لا تحاولوا حتى قراءة اسمه.

قضى عدة أسابيع فى هذا الخبال!.. وبعدما أصابه الحَول من كثرة المطالعة، خرج بنتيجة لا بأس بها..

« إجمالًا يبدو عاديًّا، لكن هناك بعض الملاحظات المُقلقة، منها ارتباطه الشديد بالأشياء.. الاندفاع.. المبالغة فى التعقل.. التذبذب الانفعالى.. الاهتمام بالتفاصيل.. أخيرًا التزامه الشديد الدقة وعدم التعايش مع الفوضى.. »

قال (فرويد) إنها صفات مشتركة تضعه مع الموسوسين ومصاصى الدماء فى منطقة واحدة!

هنا قذف (طارق) بآخر كتاب فى يده يصدم به سقف الغرفة، بعدها خرج للشرفة يتمتم بسخرية:

- « هستيرى ومُصاب بالوسواس القهرى، حسنًا.. سأعمل جاهدًا على أن يكون هناك بعض الوقت قبل الإصابة بالجنون.. »

استخدم أوراق تلك الكتب لامتصاص زيت أصابع البطاطس المحمرة بعد خروجها من القلى، كنوع من الانتقام..

أما هو عاد لحياته - مُرتاح الضمير - مُقررًا أن يعيشها كما هى، دون فهم، دون معاناة، تلك العشوائية تُناسبه أكثر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أتصور أن الأمر مازال يحتاج لمزيد من التعارف المُمِل، (طارق) شخصية ريفية، تحمل كل تلك الصفات الهستيرية الأصيلة سالفة الذكر، أضف أنه كان يؤمن تمامًا بنظرية الوغد (هاينريش هِيملر) وزير دفاع (هتلر) التي تقول:

- « الرجال الحقيقيون يأتون من الريف، أما الأطفال فيأتون من المدينة.. »

احتلت تلك العبارة عقله.. وجعلت حياته الجامعية تمتلئ بالصراع المُبكر كنوع من إثبات الذات، أهمل الدراسة وبدأ يهتم بأشياء كثيرة أخرى على غرار..

الاتحادات الطلابية.. الأسر.. الرحلات، إلى آخر تلك القائمة المُهلكة التي لا تُدِرك تفاهتها إلا بعد أن يُغادرك الجميع وتصبح الفاشل الوحيد هنا..

مرت عدة سنوات أكثر من اللازم قبل تخرجه من كلية الطب البشرى، تخرج ليجد غالبية دفعته على أعتاب الماجيستير.. وهو بالكاد يتعرف على أدوية الاستقبال.

مَارس خلال فترة الامتياز كل التخصصات الطبية تقريبًا، لم يُثر فضوله سوى الطوارئ والحالات الحرجة.

يبدو أن الأمر نَاسب شخصيته المُتقلبة، لدرجة أننا نستطيع قول إن التخصص هو الذي اختاره وليس العكس.. فالتنوع يُبقيه حيًّا.

تحمس لدرجة أنه بدأ يفكر سريعًا فى فتح مركز إصابات، لكن أحدًا لم يتعامل مع الفكرة بالجدية الكافية.

غالبًا بسبب شخصيته التي كانت تَملك دائمًا الحماس الكافى لبدء الأشياء، ولا تملكه لإنهائها!.. لكن هذا لم يُوقفه.

فى ليلة شتوية مُظلمة غادر القاهرة.. وذهب للبلدة كى يبيع تلك المساحة من الأرض الزراعية لعمه الوغد (سليم) - وسط مناحة العائلة طبعًا - الذي استغل الحاجة وأكل نصف ثمنها.

بعدها عاد للقاهرة.. واستعان بمحامى شاب مُتحمس - يدعى فهم الأشياء ويصيح طيلة الوقت - فى شراء تلك الفيلا القديمة الواسعة بحدائق المعادى.

ابتلع المنزل غالبية المال، لكن ما تبقى كان كافيًا لتأثيث غرفة بالدور الثالث للإقامة.. وبدأ يحلم بمركز طبى متطور يشمل بقية المبنى.

نظر له المحامى (فتحى) ضخم الجثة، بتلك النظرة الكوميدية التي يُجيدها.. وهو ينتظر كتابة صِفة المكان فى الترخيص الذي سيتقدم به لوزارة الصحة..

- « تقصد مجموعة عيادات شاملة؟ »

- « بل مركز إصابات.. »

وضع (فتحى) القلم جانبًا يسأل:

- « وماذا يعنى هذا؟ »

(طارق) بحماس:

- « مكان لا يتعامل سوى مع الحوادث وكل ما هو حرج فقط.. »

اعتدل المحامى يُضيق عينيه..

- « هل تشاهد مسلسل (Grey's anatomy) هذه الأيام!.. »

- « نعم.. لماذا؟ »

- « لأنى أجدك متأثرًا به تمامًا، الناس فى مصر تعرف ثقافة الاستقبال بصعوبة، تأتى وتقدم لهم مركز إصابات! »

- « وما المانع؟ »

المحامى بانفعال:

- « لن يستوعب أحد الأمر.. فأنت مثلًا لن تستطيع رفض حالة تطلب العلاج لمجرد أنها ليست حرجة، هذا سيجلب المتاعب.. »

(طارق) بنفس الحماس:

- « أعرف أنها فكرة غير مألوفة لكن هذا لا يعنى فشلها.. »

- « لن تصمد كثيرًا.. »

- « دعنى أحاول.. »

هرش المحامى ذقنه بغيظ..

- « فعلًا.. مِنْ حقك أن تحاول، من حق كل مواطن فى هذا البلد أن يحاول.. »

وأخذ يقلب بعض الأوراق..

- « لكن حسب الأرقام التي أمامى، أنت لم تعد تملك سيولة كافية لشراء كلب حراسة، من أين ستأتى بالتمويل؟ »

ارتبك (طارق) محاولًا إيجاد إجابة..

- « هناك شركاء.. »

المحامى فى شك:

- « ومَن هؤلاء المخابيل؟ »

- « لم أفاتحهم بعد.. »

اكتمل الشعور بالغيظ لدى (فتحى).. فنهض يجمع أوراقه وهو يتمتم:

- « كُنت أعرف هذا.. »

نهض (طارق) يلاحقه..

- « تعرف ماذا؟ »

- « أنك تُهرج.. »

حاول (طارق) إيقافه..

- « إلى أين؟.. هناك أمور لم تُناقش بعد.. »

لوح المحامى بانفعال جاد كوميدى..

- « ليس قبل أن تحسم موقفك المالى، نحن لا نلعب هنا، بعد إذنك.. »

ابتسم (طارق) وتركه ينصرف يجر فى شحمه، هنا تسرب ذلك الصوت المزعج من الخلف يقول:

- « هل ستفتح المنزل مثل (عبد العاطى) حلاق صحة المركز؟.. »

انتفض (طارق) واستدار بغيظ يواجه الشىء الوحيد الذي أحضره معه قهرًا من البلدة، إنه العم (عثمان)..

- « كُنت تتجسس إذن؟! »

تجاهل الرجل العبارة وأخذ يُكمل دور (أبو العريف) الذي يحب دائمًا أن يلعبه..

- « ما رأيك أن تجعلها عيادة نساء، ستكسب أكثر.. »

كان (طارق) فى تلك اللحظة أبعد ما يكون عن الدخول معه فى صراع..

- « موعد نومك يا عم (عثمان).. »

انفعل الرجل..

- « لن أنام الآن.. هل تسمع.. لن أنام..»

وانصرف يتمتم بعبارات كثيرة غير مفهومة حملت عدم الرضا، الرجل فرضته عليه أُمه كشرط لبقائه فى القاهرة، كان يرعاه منذ الصغر ولم يستطع

رفضه، حتمًا تعرفون تلك الشخصيات المُتمرسة بكل المهن.. بواب.. جناينى.. طباخ.. أضف طبعًا مهمته المقدسة كجاسوس للعائلة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رغم مناخ الإحباط المادى الذي أحاط ب- (طارق)، إلا أنه استطاع إقناع بعض زملاء دفعته بفكرة المشاركة، كان طبعًا يحتاج للمزيد من المال كى تولد فكرته مُكتملة، لكنه جمع ما يكفى البداية..

تمريض.. رجال أمن.. أجهزة.. عربة إسعاف.. أخيرًا تلك اللافتة التي شعر معها بمدى جديته، وأنه دخل عالم الكبار..

« مركز أجزون (Axon) للحالات الحرجة والإصابات، طوارئ ٢٤ ساعة »

تم الافتتاح ومر عليه قرابة ثلاثة أشهر، لم يحصل (طارق) خلالهم سوى على عبارات الانتقاد والفشل، بسبب إصراره على عدم استقبال المركز إلا للحالات ذات الطابع الحرج فقط!.. فالكل كان لسان حاله يردد:

- « مستشفى يعنى حالات.. والحالات تساوى مالًا، أما كلمة حرجة تلك فلم تَكنْ تعنى لهم الكثير.. »

تَحمل (طارق) حتى جاء اليوم الذي بدأت فيه أعراض الإفلاس تلوح بالأفق، هناك رواتب وفواتير لابد أن تُدفع..

- « القهوة.. »

قالها (عثمان) بلهجته الريفية الحادة.. وهو يضعها أمامه، لم ينصرف الرجل.. فسأله (طارق):

- « خير؟ »

لحظة صمت.. ثم قال (عثمان) بعصبية:

- « ألم يحن الوقت بعد لإنهاء تلك المسخرة يا بنى.. »

- « ماذا تريد يا عم (عثمان)؟.. هل تريد العودة للبلد؟ »

- « لا طبعًا.. ماذا سأقول لهم، الدكتور (طارق) فشل.. »

(طارق) بعصبية مقابلة:

- « ماذا تريد إذن؟ »

وضع يده على كتفه قائلًا ببعض اللين:

- « أريدك بخير يا بنى، أنا أصرف على احتياجاتك الخاصة منذ شهر.. »

- « سأرد إليك كل ما أنفقت.. »
- « متى؟ »
- « قريبًا إن شاء الله.. »
العجوز بسخرية مُستفزة:
- « هل مازال عندك أمل أن يعمل هذا المكان! »
كادت أن تشب معركة جديدة بينهم لولا أن دلفت السكرتيرة..
- « المحامى يريد مقابلتك يا دكتور.. »
- « دعيه يدخل.. »
دلف (فتحى) يصيح كالعادة:
- « لقد أنهيت أوراق الترخيص.. »
نظر له (عثمان) فى بلاهة..
- « أى ترخيص؟ »
- « ترخيص المركز.. »
- « وهل تحتاج تلك الخرابة إلى ترخيص!! »
تجاهله المحامى وفتح الحقيبة يقول..
- « مركز إصابات (trauma).. هذا ما يعرفونه فى وزارة الصحة.. »
تأمل (طارق) الورق.. والعجوز يغادر باستياء..
- « عليه العوض.. عليه العوض.. »
ضحك المحامى وهو يمد يده على فنجان القهوة الذي أمام (طارق) قائلًا:
- « إنه ترخيص مؤقت.. النهائى سيصلك بعد فحص لجنة التقييم.. »
صمت (طارق) شاردًا.. فتأمله المحامى وهو يستمر فى رشف القهوة..
- « ماذا بك.. تبدو غير سعيد؟.. »
- « أنا على وشك الإفلاس.. »
المحامى فى لامبالاة مستفزة:

- « لا تقلق، عندما سيتم القبض عليك قريبًا جدًّا إن شاء الله، سأعمل جاهدًا أن تحصل على حكم مُخفف.. »

- « أصبحت تتحدث مثلهم.. »

- « لا أبدًا.. أنا فقط أعرف رائحة النهايات.. وأنا قد حذرتك منذ البداية أن تتخلى عن كلمة حالات حرجة تلك.. وتعمل مثل بقية المراكز من حولك، لم تنصت لكلامى.. »

فاض الكيل ب- (طارق).. ونهض بعصبية ينتزع منه فنجان القهوة..

- « المقابلة انتهت وقريبًا ستصلك الأتعاب.. »

- « أنت تطردنى!.. »

أخذ (طارق) يدفعه للخارج..

- « نعم.. »

- « سأقدر حالتك النفسية.. فأنت رجل على مشارف السجن.. »

وأخذ يضحك بشدة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طبعًا مع مرور الوقت شعر (طارق) أن رفاهية الاختيار لم تعد متاحة، لابد من الانبطاح قليلًا للواقع وإلا انتهى..

استسلم فى النهاية وسَمح للمركز أن يستقبل كل الحالات.. وبسرعة تحول المكان بقيادة (حمادة) رئيس التمريض، إلى استقبال أحقر مستشفى حُكومى مركزى..!

قياس سكر.. ضغط.. ضرب حقن.. ولادة طبيعية..غيار على الجروح، الكل انتعش وصار يجنى المال.. حتى (عثمان) تحمس وفتح كافيتريا..

باختصار أصبح المركز على الصورة التي لم يكن (طارق) يريدها يومًا..

لكنه قانون الطبيعة.. الضعيف يموت..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

2 - دار الشرق..

انتهت البداية المُمِلة، وحان وقت فتح اليوميات والحديث عن شىء ما.. فهذا هو الهدف الأول لتلك الروايات.

أجندة (طارق) تمتلئ بالكثير من الشخصيات التي لا تُنسى، نابشة قبور العلمين، دُرج (شيماء) العجيب، المُنتحرة وصديقها المُتحمس (فولاتكار) الأمريكى الغامض، (عمر لاشين) وقطه (فرعون).

طبعًا من كثرة التفكير فى محاولة تقديم رواية مسلية تصلح كبداية، قد يحدث العكس ويتم تقديم شىء غير لائق.. فالمبالغة فى الجودة دائمًا ما تؤدى إلى الاستياء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هناك شخصية - رغم نهاية قصتها - إلا أنها ما زالت تحمل لكل من تورط فى عالمها الغموض!.. شخصية فريدة من نوعها، لكن البداية لم تكن فى المركز، بل فى إحدى مستشفيات القطاع الخاص عديمة الرحمة، مستشفى (دار الشرق)..؟

إنه المكان الوحيد الذي لم يستطع (طارق) مغادرته حتى لحظة كتابة هذه السطور، بسبب تورطه فى عقد سخيف يحمل شرطًا جزائيًّا.

حاول (طارق) كثيرًا الرحيل، إلا أن الوغد المدير ظل يُلوح باستخدام الشرط الجزائى.. وكيف سيطارده قضائيًّا.

لم يكره (طارق) العمل فى مكان مثلما فعل بتلك المستشفى، فمنذ اليوم الأول له وهو يُمتهن بشريًّا..

« لا نوم.. لا طعام.. هى ليست تِكية.. »

تلك كانت سياسة المستشفى المُعلنة بوقاحة دون خجل، فالإدارة لو تمكنت من سَحل الجميع لفعلت..

« تغيير الملابس يتم فى الحمام لعدم وجود غرف خاصة لذلك.. »

« تفتيش ذاتى لكل من يدخل ويخرج من المستشفى دون استثناء.. »

« النوم يُصنف جريمة من الدرجة الأولى تستوجب الفصل.. »

« الحرمان من الأجر لو نمى لعلم الإدارة أنك سوف ترحل هذا الشهر.. »

الغريب أن الجميع اعتاد هذا!.. وتعايش معه لدرجة السُّخرة، لكن ذلك المناخ الاستبدادى خلق أجواء التحايل، فالكل لم يعد ينتمى للمكان، وصار يعد ساعاته الباقية على الرحيل، بعدئذ لتذهب المستشفى إلى الجحيم..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يذكر (طارق) جيدًا أول ليلة سوداء له هنا، يذكر أيضًا سكن الأطباء الذي كان عبارة عن غرفة متر فى مترين، بالكاد تصلح حمامًا أو مخزنًا صغيرًا..

بها كنبة ممزقة خرجت أحشاؤها.. ثلاثة رفوف قبيحة.. حوائط سوداء من كثرة عذاب ساكنيها.. أخيرًا شىء ما يُطلقون عليه ثلاجة أدوية وهى فى حقيقة الأمر مقبرة للطعام..!

كانت نُوبتجية ليل، غلب النوم (طارق) قرب الفجر.. فدلف للمخزن وتكوم دون غطاء فوق الكنبة حتى أول ضوء.

آلام مُبرحة فى الرقبة والظهر، عدم القدرة على فتح العين، رغبة فى الترجيع، كل تلك أعراض تبدو طبيعية عند الاستيقاظ هنا!..

فتح (طارق) عينيه ليجد فتاة جميلة رشيقة، تستند بقدمها فوق الكنبة التي ينام عليها كى تُحضر بعض الأغراض من فوق الرفوف.

انتفض (طارق) وكاد يصرخ، لكن تلك الابتسامة المُشجعة التي خرجت من الفتاة جعلته يؤجل الأمر قليلًا..

- « آسفة يا دكتور لو كُنت أيقظتك.. »

حاول (طارق) قول أى كلمة، لكنه كان فى وضعية جغرافية صعبة لم تُمكنه من شىء، تعود الفتاة للأرض برشاقة..

- « حضرتك جديد هنا؟ »

خرج صوت (طارق) مُحشرج:

- « نعم.. »

صافحته بصعوبة فى مساحة ضيقة، قبل أن تنصرف قائلة:

- « أهلًا بك.. »

نهض (طارق) يفرك عينيه..

- « هل كان هذا حقيقيًّا! »

لم يستغرق ثوانى فى التفكير حتى دلفت فتاة أخرى، لكنها كانت أكثر عملية:

- « صباح الخير يا دكتور.. ممكن البلوزة لو سمحت؟ »

ارتبك (طارق) وهو يتلفت نحو ما تُشير:

- « بلوزة!.. آه البلوزة.. حاضر.. »

- « merci.. »

ثم غادرته.. يبدو أن هذا عادى هنا!.. كيف لم يلاحظ كل تلك الملابس النسائية المُعلقة من حوله، إنه التعب اللعين، خرج (طارق) يترنح مُحاولًا فهم ما يحدث، فوجد شِجارًا بين فتاتين حول مَنْ تدخل الغرفة أولًا لتغير ملابسها..

- « بعد إذنك أنا متأخرة يا دكتور.. »

- « والله أنا مَنْ حضر أولًا.. »

لم يلحق (طارق) أن يُعلق، إذ سرعان ما تم احتلال الغرفة من طرف ثالث أتى سريعًا وأغلقها من الداخل.. هنا بدأت الفتاتان الطرق على الباب بغيظ..

- « بسرعة.. الرئيسة ستمر الآن.. »

انزوى (طارق) يتأمل - بعدم رضا - حلقة الامتهان البشرى التي تُمارسه المستشفى على الجميع تحت مظلة أكل العيش، ترى كيف سيكون للطبيب هيبة وسط ذلك المناخ؟.. حتما سيصير خرقة بالية!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

« أعطنى مالًا أكثر تجدنى مُهذبًا! »

هل تعرفون قاعدة اختلاف السلوك باختلاف الأجر، إنها تتوفر فى مستشفى (دار الشرق) بكثرة، لدرجة أنه قد تم التحفظ يومًا على طفل أحد المرضى كرهينة حتى يذهب ويأتى بنفقات علاجه!.. بعدما أخذ الخدمة ولم يكن معه المال الكافى.

غالبية العاملين بالمستشفى - المُهذبين - خاصة بالفترة الليلية، هم نفس الأشخاص الذين قد تجدهم فى الصباح يسبون ويلعنون المواطنين بالقطاع الحكومى.

أحد أهم تلك الشخصيات على الإطلاق هو (إبراهيم) موظف الأمن، إنه رجل مُتعدد المواهب.

تجده جزارًا فى الأعياد.. فتوة مع البلطجية.. ينقل الحالات من وإلى المستشفى عند الحاجة، لكن تبقى وظيفة الحانوتى أحد أهم وظائفه على الإطلاق..

فعندما يقوم أى طبيب مائع بقتل أحدهم، تجده يدخل المكان يهز رأسه.. ثم ينظر لك فى ريبة بلسان حال يقول:

- « أنت مَنْ فعلها أيها الخنفس.. »

ثم يرفع الجُثة بحب حقيقى ليضعها فى الثلاجة..

لا مانع من البقاء هناك بعض الوقت، فالمشرحة مكانه المفضل!.. وهذا تحديدًا ما ساهم فى صنع هالة الرعب التي تُحيط به.

أحد أهم مزاياه أيضًا، تَذكُّره التام والدائم لكل الشخصيات الهامة التي دخلت الثلاجة يومًا.. أو (الأكابر) كما يُحب دائمًا أن يُطِلق عليهم..

هنا نام (جلال) بك رجل الأعمال الشهير..

هنا فلان.. هنا فلان..

كان يعشق التشدق بسيرتهم طيلة الوقت، خاصة أمام مُديره عديم الرحمة العميد (مختار)، عله يتعظ أو يخاف، لكن (مختار) ظل يرى الموت على أنه شىء يُصيب الآخرين فقط.

البعض يقول إن (إبراهيم) حين التحق بالعمل كان شخصية مختلفة تمامًا عما هو عليه الآن، لكن فجأة عندما أصبح مسئولًا عن المشرحة بدأ التحول.

أصابته المشية الجنائزية البطيئة.. الصمت الأزلى.. النظرات الثاقبة التي تخترقك وتُوحى بأنه يعرف أكثر.

كل تلك الأشياء اجتمعت لتضفى عليه هالة من الرهبة، لدرجة أن جميع مَن بالمستشفى صار يتجنبه.. أو على الأقل يتشاءم من وجوده.

حاول (طارق) كسر ذلك الحاجز النفسى غير المبرر تجاه الرجل عن طريق المعاملة الجيدة، لكن ظل هناك شىء ما غامض يحيط به..

- « صباح الخير يا دكتور.. »

- « أهلًا (إبراهيم).. »

- « هناك حالة.. ونريد كرسى الطوارئ المتحرك لإدخالها.. »

- « تفضل.. »

يبتسم (إبراهيم) فى ثقة غامضة ثم يتحرك فى تؤدة ساحبًا الكرسى كأنه سفير لجهنم، تنتظر الممرضة حتى يخرج ثم تقول بنفاد صبر:

- « ربنـا يستـر.. فكـل الحـالات التي يأتـى بهـا إما أن تموت أو تدخل العناية!.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخامسة مساء.. تبدأ عمليات المستشفى، حيتان الجراحة يأتون من كل فج عميق لاصطياد المال، المناخ ينتعش وتبدأ الحركة، ينتظر (إبراهيم) بلهفة خارج غرفة العمليات قدمًا سكريًّا سيتم بترها..

- « يا مُسهل الحال يا رب.. »

يبدو كأب ينتظر مولوده الأول!.. تخرج القدم، يتلقفها بحنان ثم يهمس لأحد رجاله:

« سأغيب ساعة.. »

يتراجع فرد الأمن للخلف يزدرد لعابه..

- « خذ كل وقتك.. »

يقاطعه (إبراهيم) فى تلذذ:

- « دفن القدم لا يستغرق أكثر من هذا.. »

فرد الأمن برعب:

- « على راحتك.. »

ثم يفر هاربًا.. يبتسم (إبراهيم) بعمق..

- « كلكم تهابون الموت.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثامنة مساء.. موعد انتهاء العمل الرسمى للإداريين، يُصلى (إبراهيم) العشاء ثم يبدأ فى إنهاء أى شىء باقى.

عادة ما تكون المشرحة آخر خطواته.. يطرق الباب.. ينتظر قليلًا.. ثم يدخل..

كان يؤمن بوجود كيانات طليقة بالداخل لابد من استئذانها..!

لا أدرى كيف انتقل له هذا الاعتقاد..

فالجميع ناقش معه الأمر، لكنه غالبًا ما يدعك تتكلم وحين تَصمت، يبدأ فى سرد روايات كثيرة عن أناس مُغفلين مثلك.. فقدوا عقولهم يومًا بسبب عدم احترام تلك الخصوصية..

ثم يُنهى الحديث ببعض تلك العبارات الغامضة المقدسة..

« الأرواح تحلق فوق الجثث التي لم تُدفن بعد.. »

« الأرواح لا تُحب الغرباء المُستهترين.. »

لتلك الأسباب ظل (إبراهيم) يستأذن قبل الدخول..

- « السلام عليكم.. »

يقول إن الرد يأتيه سريعًا فى صورة تزييق باب.. رياح طفيفة.. شىء ما يتحرك.. أو حتى بارتياح داخلى..!

واليوم الذي لا تحدث فيه أية إشارة مما سبق، يقلق ويغادر الثلاجة سريعًا!.. فهذا فى عالمه لا يعنى سوى شىء واحد فقط..

- « وهو أن المكان لا يرغبه.. وعليه الرحيل.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

3 - المجهول..

(أسماء) ممرضة عناية مركزة حديثة الانضمام لمستشفى (دار الشرق)، رقيقة.. شفافة.. جميلة.. وتستطيع إعطاء ابتسامتها للجميع دون انتظار مقابل.

حين تتعامل معها، تستنفر بداخلك روح الفارس الذي لابد أن يُلبى النداء.. فتجد نفسك دون وعى تريد حمايتها.

كانت (أسماء) تُحب العمل كثيرًا.. ولا تُغادر موقعها إلا فيما ندر، لكن فى تلك الليلة طلب منها استشارى العناية بعض الأرقام.

وبما أنها لا تعرف قول كلمة لا، اتجهت مباشرة إلى شئون العاملين (HR)..

طرقت الباب.. فلم يُجبها أحد، دلفت للمكان بحذر فوجدته خاليًا تمامًا، نظرت للساعة.. كانت قد تجاوزت الثامنة..

الكل انصرف.. ماذا ستفعل..؟

وقفت تفكر قليلًا ثم حسمت أمرها، اتجهت نحو الكمبيوتر الرئيسى.. إضاءة خافتة.. فتحت بعض الأوراق.. ثم بدأت العمل..

مر الوقت ببطء دون أن تصل لما أتت من أجله، زفرت بقوة تردد:

- « أنتِ مَنْ ورط نفسه أيتها الحمقاء..»

وأسندت رأسها بتعب فوق المكتب، لم تعرف متى أغلقت عينيها ونامت، لكن بمجرد أن دقت الساعة التاسعة رن الهاتف، انتفضت ترفع السماعة:

- « ألو.. »

لم يأت أى رد..

- « ألو.. »

فركت عينيها ثم وضعت السماعة، عاد الجرس..

- « ألو.. ألو.. »

تلك المرة سمعت صوت أنفاس..

- « ألو ..... »

جرس للمرة الثالثة..

- « ألو.. ألو.. ألو ... »

أغلقت السماعة.. ثم اتصلت ب- (operator) المستشفى.. عاملة تحويل المكالمات..

- « مَنْ الذي يحاول الاتصال بال- (HR)؟ »

- « لا أحد.. »

فكرت (أسماء) قليلًا قبل أن تسألها:

- « هل يستطيع أحد الاتصال مباشرة بأى قسم دون المرور عليك؟ »

- « مستحيل.. لأن كل خطوط المستشفى داخليَّة ولابد من تحويل أى مكالمة.. »

- « غريبة!.. مَنْ الذي يحاول الاتصال إذن؟ »

- « أنا هنا منذ ساعة تقريبًا.. ولم أحول أى مكالمات ل- (HR)..»

نفضت (أسماء) الأمر عن ذهنها..

- « عله خطأ.. آسفة على الإزعاج.. »

- « لا عليك.. »

وأغلقت السماعة وأخذت تلم أغراضها، بعدما قررت إرجاء الأمر لوقت لاحق، لكن فجأة عاد الرنين.. انتفضت.. وعادت ترفع السماعة ببطء دون أن تتفوه بكلمة، لم ينقطع الاتصال هذه المرة..

- « أعرف أنكِ على الخط.. »

تسارعت دقات قلبها وهى تسأل:

- « مَنْ حَضرتك؟ »

غابت الإجابة قليلًا..

- « لا أعرف.. »

ظنت أنه يُمازحها..

- « أنت جديدة فى المستشفى؟ »

- « نعم.. »

- « ذلك يفسر الأمر إذن.. فأنا لم أشعر بك من قبل.. »

- « أى أمر؟ »

تجاهل السؤال..

- « دعينا لا نضيع الوقت.. »

- « آسفة.. لن أكمل الحديث قبل أن أعرف اسم حضرتك.. »

بدأ الصوت يضعف..

- « قلت لا أعرف.. لا أذكر تحديدًا..»

خرجت العبارة منه جادة.. فأصابتها الحيرة..

- « ماذا تعنى؟ »

ابتعد الصوت تمامًا..

- « أنت مختلفة!.. لكنى لا أقوى الآن على الاستمرار، سأجد وسيلة أخرى للاتصال.. انتظرينى.. سأعود.. سأعود.. »

انقطع الخط.. صوت الحرارة..

- « ألو.. ألو.. »

بسرعة متوترة، عادت (أسماء) للاتصال بعاملة التحويل..

- « مَن الذي كان معى على الخط الآن؟ »

العاملة بدهشة:

- « لا أحد!.. الخط الوحيد المشغول فى تلك اللحظة هو مكتب المدير.. »

- « أنت تمزحين.. أليس كذلك؟ »

- « لماذا؟ »

- « لأننى كنت أتحدث مع شخص منذ قليل.. »

العاملة بحيرة:

- « ربما هناك تداخل.. »

أغلقت (أسماء) الهاتف بعصبية شديدة.. ثم شردت، لكن فجأة لمحت شيئًا فى منتهى الغرابة، سلك الهاتف الذي تستخدمه منذ البداية مفصول عن المكبس أصلًا!.. ضاقت عيناها بخوف وهى تسحب السلك تتأمله..

كان هذا فيزيائيًّا لا يعنى سوى شىء واحد فقط.. وهو أن التليفون لابد أن يكون قطعة خردة.

تجمد المشهد للحظات قبل أن تُقدم على تصرف يُنافى العقل تمامًا، مدت يدها المرتعشة ترفع السماعة وتُنصت.

أتاها صوت الحرارة!.. هنا صار الموقف غير مُحتمل عصبيًّا.. و.. صرخت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظت (أسماء) بفزع، تتلفت حولها عاجزة عن تحديد ماهية ما حدث.. هل كان حقيقيًّا أم مجرد حلم؟..

- « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. »

التقطت أنفاسها.. ودون وعى انحنت تفحص سلك الهاتف، كان مفصولًا، حينئذ نسيت التقرير والأرقام وأصابها الرعب.. ثم اندفعت تغادر المكتب فى تخبط لدرجة أنها كادت تصدم شخصًا فى الممر..

- « مهلًا.. »

كتمت صرختها..

- « لمؤاخذة يا (إبراهيم).. »

- « لا عليك.. »

وقفت تنتظر المصعد بجواره تلهث وتتصبب عرقًا.. تأملها بدهشة ثم سأل:

- « خير يا مس (أسماء)؟.. هل هناك شىء ما يضايقك؟.. »

أخذت نفسًا عميقًا.. وهى تحاول أن تستعيد اتزانها..

- « لا أبدًا.. فقط تأخرت.. »

نظر لها بعدم اقتناع.. وران الصمت.. لكن فجأة عادت تستطرد:

- « أخبرنى يا (إبراهيم).. هل تعرف أحدًا هنا يهوى المعاكسات التليفونية؟ »

كانت تلك واحدة من المرات القلائل التي يبتسم فيها الأخير..

- « لماذا؟ »

ابتسمت بدورها.. وراحت - دون مبرر - تروى له سريعًا ما حدث على أنه حقيقى، اختفت ابتسامة (إبراهيم) وشرد قليلًا..

- « غريبة!! »

- « إيه هو الغريب؟ »

(إبراهيم) فى توتر:

- « أبدًا.. كلامك فقط ذكرنى بشىء مُشابه.. »

- « ما هو؟ »

شعر (إبراهيم) أنه تورط..

- « إنها قصة سخيفة لا أريد شغلك بها.. »

بدا التهرب واضحًا عليه.. فازداد فضول (أسماء)..

- « إما أن تُخبرنى أو سأعرف من مصدر آخر.. »

حاول المماطلة لكنه فشل.. مط شفتيه مُبديًا الاستخفاف بالأمر..

- « إنها فتاة كانت تعمل هنا منذ عام تقريبًا، قالت إن أحدهم يحاول الاتصال بها بجنون.. »

وأخذ يسرد بعض التفاصيل المملة..

- « قال الأطباء إنها حالة نفسية نتيجة الشعور بالوحدة.. »

ضاقت عينا (أسماء) بعصبية..

- « وبماذا انتهت القصة.. »

- « فصلتها الإدارة.. »

- « لا أعنى هذا.. كيف سارت حالتها؟.. وأين ذهبت؟.. »

- « لا أحد يعرف!.. لكن البعض يردد أنها نزيلة مصحة نفسية.. »

شردت (أسماء)..

- « مسكينة.. وهل ذكرت شيئًا عن شخصية المُتصل؟ »

عاد التردد يُصيب (إبراهيم)..

- « تلك كانت المشكلة.. »

- « لماذا؟ »

- « لأن مَن ذَكرت اسمه شخص ميت!.. »

هنا لم تعد أعصاب (أسماء) الرقيقة تتحمل المزيد.. وسقطت فاقدة للوعى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (طارق) فى غيظ يرقب الساعة التي تجاوزت التاسعة، موعد تغير الفترة المسائية، مر أكثر من ساعة وزميله لم يأتِ بعد ليتسلم منه.

دائمًـا ما يتـأخر ذلك الوغـد تحت أى مبـرر.. النـوم.. المواصلات.. عمل آخر، المهم ألا يأتى فى موعده..

الأكثر استفزازًا أنه عندما يحضر، يدخل الطوارئ سعيدًا ومتصالحًا مع نفسه كأنه لم يفعل شيئًا..!

حاول (طارق) الانشغال بأى شىء كى لا يبدو عصبيًّا.. حتى أعطى الهاتف إشارة تلقى رسالة إلكترونية، كانت منه.. تمتم بمزيد من الغيظ:

- « ماذا يعنى هذا؟ »

فتح الرسالة.. فوجد نصها يقول:

- « (طارق) حبيبى.. أعرف أنى تأخرت.. إنه الدائرى اللعين.. الدنيا مشلولة هنا تمامًا.. ولا أعرف حقًّا متى سأصل.. لكن أعدك أن يكون قبل الفجر.. »

ثم ختمها بصورة وجه سخيف يضحك..

كاد (طارق) أن يُمارس الغضب بتكسير الهاتف، لولا أن دلف (إبراهيم) فجأة للطوارئ يحمل (أسماء) الفاقدة للوعى.. ومن خلفه نصف المستشفى، أمام ذلك الزحف أغلق (طارق) الخط وتفاعل مع الموقف..

- « خير؟ »

وضعها (إبراهيم) فوق أحد الأسرة وشد الستائر..

- « إنها مس (أسماء).. إحدى ممرضات العناية.. »

- « ما الذي حدث؟ »

- « لا أعرف.. كنا نتحدث بشكل عادى.. وفجأة سقطت فاقدة للوعى.. »

تحسس (طارق) وريدها العنقى..

- « هل تعانى من أى مرض مزمن؟ »

نفى (إبراهيم) فى صمت وابتعد.. فى حين بدأ (طارق) فى فحص كل معدلاتها الحيوية.. كل شىء بدا طبيعيًّا باستثناء بعض الهبوط فى الضغط..

- « إغماءة عادية.. »

أمر بتعليق محاليل حتى مر الوقت وفتحت (أسماء) عيناها:

- « أين أنا؟ »

- « طوارئ المستشفى.. »

التقت عيناها ب- (إبراهيم) وتذكرت كل شىء، أرادت النهوض، فاستوقفتها أحد الممرضات:

- « ليس قبل أن تُنهى هذا.. »

انتبهت لجهاز الوريد المتصل بذراعها لحظة دخول الأب، لهفة.. قلق.. ثم العديد من الأسئلة السخيفة المُتكررة حتى أنهت علاجها، بعدها نهضت بصعوبة تستند على والدها..

- « شكرًا يا دكتور.. »

ولأول مرة منذ أن دلفت (أسماء) للطوارئ يرى (طارق) ملائكيتها وجمالها، الآن أدرك لماذا أتى خلفها كل هذا العدد..

- « العفو.. يبدو أنها تعرضت لبعض الانفعال أو الإرهاق الزائد.. »

تأملها الأب بحنان:

- « هى حساسة فعلًا.. ولا تتحمل شيئًا.. »

كان (طارق) يتكلم وهو يكتب وصفته الطبية..

- « راحة يومين مع هذا الدواء.. »

- « أمرك يا دكتور.. »

أخذ الأب منه الوصفة وانصرف.. قال (إبراهيم) الواقف على مقربة منهم:

- « حمدًا لله على السلامة.. »

تحاشت (أسماء) النظر إليه..

- « شكرًا.. »

لاحظ (طارق) ذلك.. فاقترب يستدرجه بعد انصرافهم..

- « شكلها كانت مُنفعلة جدًّا.. »

شرد (إبراهيم) يتأملها وهى تبتعد..

- « العلم عند الله يا دكتور، بعد إذن حضرتك.. »

تجاوز (طارق) الموقف وعاد يتذكر زميله المتأخر، نظر للساعة فوجدها العاشرة..

- « أيها الوغد.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

4 - الكابوس..

يبدو الليل عاديًّا وسط المدينة، أضواء.. صخب دائم.. هناك لا تُدرك سيطرة الظلام وخطورته، أما الأمر فى ذلك الحى الذي يسكن فيه (إبراهيم) مختلف، قلعة الكبش جناح المقابر.

عند السادسة مساء تشعر بالخوف لدرجة أنك لا تستطيع السير منفردًا دون معرفة الطريق.. فالقاعدة الوحيدة هنا هى التوجس.

عند مدخل حى السيدة زينب، يوجد العديد من المقاهى التي تكسر وحشة المكان، يمر (إبراهيم) كعادته، يتأمله أحد رواد المقاهى الدائمين..

- « تفضل.. »

يُلوح فى تجهم.. فيترك الرجل الشيشة ويهمس..

- « لماذا يبدو مختلفًا؟ »

- « عله لم يدفن أحدًا اليوم.. »

ثم ينطلق الضحك، سمعهم (إبراهيم) لكنه فى تلك اللحظة، كان أبعد ما يكون عن الدخول فى عراك مع أحد، بدا مهمومًا!..

ومن شارع ضيق لآخر أضيق منه، واصل الطريق حتى اختفت الناس وضعفت الإضاءة.

المقابر.. يبدو المنزل واضحًا الآن.. والأهم دكان عم (إسماعيل) المجاور له، إنه رجل عجوز طاعن فى السن، حضر إلى المنطقة مُبكرًا، بعدما قرر أن الحياة وسط الأموات أكثر أمانًا..!

من الصعب أن تجد أحدًا مِنْ الأهالى القريبين.. أو حتى من رواد المقابر لا يعرف جيدًا دكان عم (إسماعيل).

الغريب أن الدكان حاله مُتيسر رغم عدم وجود بيوت كثيرة من حوله!.. البعض يهمس أن الأشباح هى التي تشترى ليلًا.

يدخل (إبراهيم) الدكان..

كان العجوز يُعد الشاى فوق موقد كيروسين عتيق لم يعد أحد يستخدمه..

- « هل أضيف لك كوبًا؟ »

تشعر حين رؤيتهم أن الاثنين أصدقاء تجاوزوا مرحلة التفاهم منذ زمن بعيد، اكتفى (إبراهيم) بإيماءة من رأسه.. ثم جلس فوق المقعد الوحيد بالمكان، أخذ (إسماعيل) يزيد الماء بيد مُرتعشة..

- « لماذا تأخرت الليلة؟ »

لم يتلق إجابة.. ولاحظ شروده..

- « ماذا بك؟ »

أجاب (إبراهيم) مباشرة:

- « هل تذكر (مروة)؟ »

ارتعشت يد العجوز أكثر..

- « نعم.. »

- « عادت حكايتها اليوم للتكرار!.. فتاة أخرى تشبهها تمامًا، نفس الشخصية.. الملامح.. حتى الموقع الوظيفى.. »

أنهى (إسماعيل) إضافة الشاى الجاف.. وتحرك ببطء ليجلس خلف النَّصبة..

- « ابتعد عنها.. »

(إبراهيم) باستنكار:

- « لماذا؟.. إنها فرصة لتصحيح ما حدث، أريد التكفير عما فعلت.. »

- « أنت لم تفعل شيئًا.. »

- « لقد خذلته.. »

- « كل نفس لها طاقة تتوقف عندها.. »

(إبراهيم) بعصبية:

- « لا تواسينى يا عم (إسماعيل)، الرجل يتعذب ولا أستطيع مساعدته.. »

- « أستغفر الله العلى العظيم.. »

ران الصمت للحظات.. والعجوز المُخيف يفكر..

- « أنت روحانى موهوب، لكنك تتعامل مع الأمر بشكل شخصى.. وهذا يفقدك الحيادية، لذا إذا أردت العودة، لابد أن يُساعدك أحد، هذا سيقلل توترك.. »

نظر له (إبراهيم) بعدم اقتناع.. ثم نهض..

- « تصبح على خير يا عم (إسماعيل).. »

- « والشاى.. »

- « أحتاج للنوم.. »

تأمله العجوز حتى ابتعد..

- « ليرحمنا الله برحمته.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ممر مظلم تسير فيه (أسماء) مُنفردة، ليس شارعًا أو مكتبًا إنه منزل..

منزل كلاسيكى قديم ذو ردهة واسعة..

كل قطع الأثاث تكسوها الأغطية البيضاء، صُورة رعب مألوفة..!

مرآة كبيرة فى الصالة تتأمل خلالها فستانها الأسود..

دون إرادة تجد ما يدفعها لفتح هذا الباب..

تحتبس الصرخات فى حلقها.. ورغم ذلك لا تستطيع التوقف..

هناك قوة تفوق إرادتها تدفعها لذلك..

تفتح الباب بصعوبة لتجد ممرًّا آخر أكثر ظلمة..

رائحة عطنة ومخلفات عضوية شديدة..

سلالم تقود نحو الأسفل..

يكاد قلبها يتوقف من الإثارة.. تبدأ فى الهبوط دون رؤية.. و ....

هناك صوت ما..

تستجمع ما لديها من إرادة وتُعاود السير..

يزداد الصوت قُربًا.. إنه يأتى من هنا.. تُسرع الخُطى..

حاجز قضبان معدنية يوقفها..

وفجأة ترى ذلك الوجه..

- « إنه .... إنه .... »

طبعًا النائم منكم سيُدرك من السطر الرابع أنه كابوس..

لم تتحمل (أسماء) البقاء هناك لثانية إضافية.. تصرخ مُستيقظة.. تدلف الأم تحتضنها..

- « حبيبتى.. ما الذي حدث؟ »

تنتفض (أسماء).. يلحق بهما الأب.. تنظر لهما فى شحوب..

- « كابوس.. كابوس بشع.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اليوم التالى قبل التاسعة صباحًا بدقائق..

لم تستجب (أسماء) لنصائح أحد وذهبت للعمل، دلفت للمستشفى يبدو عليها الشحوب واحمرار العين.. قابلتها زميلتها (علا) باهتمام:

- « سمعت بما حدث أمس.. سلامتك.. خير؟ »

- « الحمد لله.. كان بعض الإرهاق.. »

تأملتها (علا) بتعاطف:

- « مازال يبدو عليك التعب.. »

- « لم أنم جيدًا.. »

لاحقتها (علا) بالاهتمام:

- « ما رأيك أن ترتاحى اليوم.. سأطلب من الرئيسة أن ..... »

قاطعتها (أسماء) بعصبية:

- « أنا لم اشتكِ لأحد.. »

بُهتت الفتاة من عصبيتها غير المُبررة وهى تقول:

- « آسفة.. كنت أريد المساعدة.. بعد إذنك.. »

استوقفتها (أسماء) بعذاب:

- « انتظرى.. أنا لم أقصد .... »

وامتلأت عيناها بالدموع فجأة، تجاوزت (علا) انفعالها وأسرعت تحتضنها..

- « فيه إيه يا حبيبتى؟ »

- « لا أعرف!.. لا أعرف! »

وأجهشت بالبكاء.. تلفتت (علا) حولها كمن يحاول إخفاء الأمر..

- « تعالى معى.. »

ورافقتها لغرفة تغيير الملابس بالدور الثانى، أغلقت الباب من الداخل..

- « ماذا بك؟.. احكى.. قد أستطيع المساعدة.. »

تمالكت (أسماء) نفسها قليلًا..

- « ذلك الكابوس تكرر أمس أكثر من خمس مرات.. »

- « أى كابوس؟ »

ازدردت (أسماء) لعابها.. وأخذت تروى حتى انتهت، امتقع وجه (علا).. لكن رغم هذا حاولت التلطيف..

- « عادى، أحيانًا يحدث لى أكثر من هذا، خاصة عندما آكل فِراخ مشوية على العشاء.. »

وأخذت تضحك.. لم تستجب (أسماء) قائلة:

- « أعصابى لا تتحمل الأمر.. »

عادت (علا) لجديتها:

- « قلت لك أن ترتاحى اليوم.. »

- « لم أستطع البقاء بالمنزل.. »

أماءت (علا) برأسها:

- « هل أخبرت أحدًا بشىء؟ »

- « أنت أول من يعرف.. »

- « عظيم.. لا تحكى لأحد إذا.. »

- « لماذا؟ »

همست (علا) رغم خلو الغرفة:

- « الإدارة هنا مُختلة ولا تحب تلك الأشياء، سيفصلونك لو عرفوا أن بك أى شىء نفسى.. »

لكزتها (أسماء) بعصبية..

- « هل هذا هو كل ما يهمك.. »

ارتبكت (علا) تبحث عن إجابة إضافية..

- « أيضا من أجل سمعتك.. فالعرسان لا يفضلون تلك النوعية من الفتيات اللاتى تحلم بكوابيس متكررة..»

وعادت للضحك.. انتظرت (أسماء) حتى انتهت ثم أضافت:

- « قلبى مقبوض.. وأشعر أن الموضوع أكبر من مجرد كابوس.. »

- « لا تستسلمى لتلك الأفكار.. »

تذكرت (أسماء) شيئًا:

- « أخبرينى.. هل تعرفين فتاة اسمها (مروة)؟ »

بدت الدهشة على (علا):

- « كيف وصلتِ لهذا الاسم؟ »

- « من (إبراهيم) موظف الأمن.. هل تعرفينها؟ »

- « طبعًا.. ومَنْ لا يعرفها.. لقد كانت بطلة المستشفى فى وقت ما.. »

- « ما قصتها؟ »

لم تزد رواية (علا) شيئًا عن رواية (إبراهيم)..

- « مجرد تخاريف.. صح؟ »

كَست الحيرة وجه (أسماء) وهى تُجيب:

- « الله أعلم!.. »

ران الصمت للحظات.. بعدها قالت (علا) فجأة كأنها وجدت حلًّا عبقريًّا:

- « ما رأيك فى إجازة؟ »

(أسماء) بنفاد صبر:

- « هيا نرتدى ملابسنا.. فترة الصباحى ستبدأ.. »

تحركت (علا) تضيف بلهجة كوميدية:

- « صدقينى.. الإجازة رائعة.. »

ابتسمت (أسماء) أخيرًا بضعف:

- « سنتأخر.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نهض (إبراهيم) يستقبل تلك السيارة الفاخرة التي وقفت أمام حَرم المستشفى، أسرع يفتح الباب، هبطت سيدة جميلة تتشح بالسواد الكامل مما أضفى عليها الهيبة والحزن الشديد..

- « كيف حالك؟ »

(إبراهيم) بسرعة:

- « بخير ونعمة.. »

أشارت لسائقها.. فوضع مبلغًا كبيرًا من المال بجيبه..

- « خيرك فائض يا سيدتى.. »

رفعت رأسها بكبرياء:

- « كيف حال (عاصم)؟ »

نظر (إبراهيم) إليها بتعاطف..

- « سيتحسن إن شاء الله.. »

كانت تعرف أنه يكذب شأن كل مَنْ يُحيط بها، دخلت المستشفى.. المصعد.. ثم غرفة عناية مركزة خاصة..

خراطيم وأجهزة كثيرة اتصلت بذلك الجسم المُستلقى فوق السرير منذ عام، كان يبدو كالمومياء من كثرة الشحوب والضعف.. لكنه رغم هذا ظل وسيمًا..!

وقفت (فريدة) ترمق زوجها بجمود اعتادت عليه، قبل أن تقترب وتلمسه..

- « كيف حالك اليوم؟ »

أتى الرد فى صورة زيادة طفيفة فى قراءة النبض..

- « أعرف أنك تسمعنى.. »

جلست بجواره تستأنس بوجوده حتى أتت تلك الطرقات الطفيفة على الباب، كانت (أسماء) تجر عربة صغيرة:

- « موعد تنفيذ الأدوية.. »

مسحت (فريدة) دمعة مُعتادة:

- « تفضلى.. »

أخذت (أسماء) بيد مُحترفة سريعة تؤدى مهمتها..

- « أنت جديدة هنا؟ »

- « نعم.. »

لمست (أسماء) جسد (عاصم) لإعطائه تلك الحقنة الوريدية الأخيرة، هنا.. فجأة بدأ معدل النبض فى الارتفاع بصورة جنونية!.. لدرجة جهاز الرصد ال-(monitor) أخذ يعطى إنذارًا أحمر مزعجًا (alarm)..

قالت (فريدة) بقلق:

- « فيه إيه؟ »

ضغطت (أسماء) على زر استدعاء داخلى..

- « لا أعرف.. »

تصاعد التوتر مع دخول فريق إغاثة صغير..

- « أمبول (كورداورون) (cordaron) بسرعة.. »

كان هذا صوت دكتور (وليد) قائد الفريق.. والذي كان أول من اقتحم الغرفة، اقتربت (فريدة):

- « خير يا دكتور؟ »

كان (وليد) من نوعية الأطباء التي لا تُجيد العمل تحت ضغط رِقابة أهالى المريض، لكنه كان يعرف (فريدة) جيدًا.. ويعرف ماذا تمثل تلك الحالة لها. لم يُخرجها من الغرفة.. بل قال بهدوء محاولًا توصيل الاطمئنان:

- « ربما مؤشر لعودة الوعى.. »

(فريدة) بلهفة:

- « حقًّا.. »

- « أقول ربما.. »

انزوت (فريدة) فى أحد الأركان تُسبح وتُحمد بانفعال:

- « يا رب.. يا رب.. »

دعمتها (أسماء) واقتربت تمسك يدها، لكن بينما كانت تفعل لمحت تلك الصورة الموضوعة بجوار رأس (عاصم)..

- « مَنْ هذه؟ »

- « ابنتى (سلمى).. »

نسيت (أسماء) كل ما يحدث بالغرفة.. وحملت الصورة وهى تردد:

- « أشعر أننى رأيتها من قبل!.. »

دمعت عين (فريدة):

- « الكل دائمًا يقول هذا حين رؤيتها.. »

توترت (أسماء).. وعقلها يقترب من شىء مجهول:

- « لا.. أناااا.. أنا أعنى ما أقول!.. لقد رأيت هذا الوجه من قبل.. »

انتقل التوتر إلى (فريدة).. بينما عادت نبضات (عاصم) للتصاعد فى جنون، أما (أسماء) فركزت أكثر مع الصورة حتى اتسعت عينيها فى رعب:

- « تذكرت.. إنها .... »

ولم تستطع أن تتحمل الفكرة.. فسقطت فاقدة للوعى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

5 - الغيبوبة..

جلس (طارق) أمام مدير مستشفى (دار الشرق) لإنهاء تعاقده..

- « أريد صورة العقد الأصلية من فضلك.. »

أشعل المدير إحدى سجائره فى تنطع:

- « أعرف أنك تعبت معنا كثيرًا الفترة السابقة، لكن هكذا هى البدايات، ما رأيك أن تبقى لعام آخر.. وسألبى لك كل رغباتك.. »

استدرجه (طارق):

- « والسكن؟ »

- « سيكون لك غرفة كاملة مُنفصلة بالدور الثانى بها كل الرفاهيات.. »

- « غريبة!.. وأين كان كل هذا طيلة العام.. »

نفخ المدير دخان سيجارته:

- « أنت تعرف صاحب المستشفى.. لا يعطى شيئًا بسهولة.. »

كاد (طارق) أن يُنهى اللقاء بعبارة:

- « فلتذهبوا إلى الجحيم.. »

لولا انطلاق إنذار (الكُود بِلو) (code blue) فى أرجاء المستشفى..؟

وكان هذا يعنى أن هناك حالة توقف بعضلة القلب فى مكان ما، انتفض المدير وأخذ يُقلب كل كاميرات المستشفى فى كومبيوتر أمامه حتى توقف عند أحدهم، تدخل (طارق) يسأل بجدية:

- « أين؟ »

أجابه على الفور:

- « العناية.. »

ضاقت عينا (طارق) وهو يتأمل أحد زوايا الشاشة:

- « إنها (أسماء).. »

المدير باستنكار:

- « مَنْ (أسماء) تلك؟ »

- « إحدى ممرضات العناية لديك.. »

عاد المدير ينظر للشاشة:

- « لكنهم يعتنون ب- (عاصم) أيضًا.. انظر.. يبدو أن هناك مشكلة.. »

- « العناية لا يوجد بها سوى فريق واحد.. »

لم يُضيع (طارق) ثانية أخرى، غريزة الطوارئ بداخله هى التي حركته. وصل العناية فوجد د (وليد) وفريقه يعملان على توصيل بعض الأسلاك بجسد الفتاة..

تمتمت (فريدة) مُنهارة:

- « كانت تتحدث معى الآن! »

انضم (طارق):

- « ما الذي حدث؟ »

أشار (وليد) بهدوء:

- « توقف بعضلة القلب نتيجة وصول النبض فجأة إلى (٢٥٠) دقة فى الدقيقة! »

- « أعطيتها ال- (الأدرينالين) (adrenalin)؟ »

- « أخذت أول أمبول. هل تعرف لها أى تاريخ مرضى؟ »

نفى (طارق) سريعًا:

- « حسب تأكيد والدها شخصيًّا أمس.. لا!.. ليس سوى بعض نوبات العصب الحائر نتيجة الضغط النفسى أو المجهود الزائد.. »

(وليد) بعدم اقتناع:

- « كل نساء مصر تعانى من العصب الحائر!.. هذا لا يُبرر شيئًا، أضف أن نشاط هذا العصب لا يرفع النبض لتلك الدرجة!.. هناك سبب آخر! »

قالها.. ثم أعطى أمره بإعطاء أمبول الأدرينالين الثانى..

سرى الهرمون الساحر فى دماء (أسماء) مع استمرار محاولة الإنعاش القلبى يدويًّا، لكن فجأة عادت أرقام (عاصم) هو الآخر للصعود فى جنون..!

تدخل (طارق) بحدة:

- « هذا القلب سيتوقف.. »

اندفعت (فريدة) فى بكاء هستيرى.. فقال (وليد) الأكثر هدوءًا:

- « أخرجوها.. »

قاومت قليلًا لكن فى النهاية انصاعت للأمر.. ووقفت أمام ذلك الحاجز الزجاجى تُتابع ما يحدث بانهيار..

تولى (طارق) حالة (أسماء).. بينما تفرغ (وليد) ل- (عاصم).. الذي توقف قلبه بالفعل..

مرت دقائق حرجة من العمل السريع الدقيق.. حتى قال أحد أعضاء فريق التمريض بحماس:

- « لقد عادت! »

أضاف آخر فى نفس اللحظة تقريبًا:

- « لقد عاد! »

ابتسمت (فريدة) وسط الدموع:

- « الحمد لله.. »

صمت (وليد) و(طارق).. واكتفيا بمراقبة شاشات الرصد..

- « انظر.. »

تعلقت عينا (طارق) نحو ما يُشير إليه (وليد) بدهشة:

- « غريبة.. وكأنهما يحملان قلبًا واحدا! »

كانت قراءة أرقام المعدلات الحيوية لكل حالة تتطابق تمامًا مع الأخرى!.. حتى فى الاختلاف العشوائى، بُهت الاثنان فما كان يحدث يفوق قدرتهما على الفهم..؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفراغ ...

وقف (عاصم) أمام (أسماء) شاحبًا:

- « أشعر ببعض الصفاء الآن.. »

(أسماء) بتوتر يختلط بالدهشة:

- « أستاذ (عاصم)!.. تبدو مختلفًا.. »

لم تتلقَ ردًّا.. فتلفتت حولها تستطرد:

- « أين نحن؟ »

- « لا أعرف.. مازلت أحاول الفهم.. »

عادت تنظر إليه:

- « أنت حقيقى؟! »

ثم اقتربت تحاول لمسه..

- « نعم.. »

(أسماء):

- « ماذا تريد؟ »

كسى الحزن وجهه:

- « ابنتى (سلمى).. »

انتفضت (أسماء) عند ذِكر الاسم:

- « الشبح الذي يُطاردنى.. »

استنكر (عاصم):

- « إنها ملاك!.. »

- « لا أستطيع النوم بسببها.. »

- « هى فقط تحاول الاتصال بك.. »

- « لماذا؟ »

فجأة بدأ صوت (عاصم) يبتعد:

- « إنهم يُعيدوننى.. لم أعد أقوى على البقاء.. سيساعدك (إبراهيم).. »

(أسماء) بحيرة:

- « سَيُسَاعدنى فى ماذا؟ »

اختفى (عاصم)..

- « سَيُسَاعدك.. »

لم تعد (أسماء) هى الأخرى تمتلك القدرة على البقاء، شعرت فجأة بقوة تسحبها.. قالت بانفعال:

- « لماذا أنا بالذات؟!.. لماذا؟ لماذا؟ »

وانتفضت عائدة للواقع..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان المشهد خارج غرفة (عاصم) أكثر إثارة من الداخل، اصطف الجميع خلف ذلك الحاجز الزجاجى يراقب ما يحدث بِتوحد انفعالى.. (إبراهيم).. التمريض.. السائق.. (فريدة).. حتى عمال النظافة غَلبهم الفضول..

- « الكل يعود فورًا إلى عمله.. »

تفرقوا بذعر عندما انبعث صوت المدير الغاضب من خلفهم، لم يبقَ سوى (فريدة).. والتي وقف بجوارها يتأمل ما يحدث فى الغرفة بعمق:

- « لم يطُل الأمر هذه المرة.. »

استعادت (فريدة) شخصيتها الصلبة:

- « الحمد لله.. لكنها كانت الأصعب..»

- « ربما سقوط المُمرضة هو الذي زاد توترك.. »

اكتفت بإيماءة من رأسها.. والمدير يستطرد:

- « ما رأيك أن ترتاحى قليلًا فى المكتب بعد هذا الانفعال.. »

تعلقت عيناها ب- (عاصم):

- « لا أستطيع.. »

لوح بيده مُحاولًا تبسيط الموقف:

- « الحالة استقرت كما ترين.. ولم يعد هناك مُبرر للبقاء.. »

ترددت لحظة.. ثم استجابت وتبعته للمكتب..

- « هونى عليك.. إنها ليست أول مرة.. »

جلست فوق مقعدها المُفضل تتنهد:

- « المشكلة أن أعصابى لم تعد تتحمل المزيد.. »

قدم لها سيجارة ووجهه يحمل ابتسامة سخيفة مُفتعلة..

- « نحن نعيش فى هذا كل يوم.. »

- « كان الله فى عونكم.. »

ران الصمت قليلًا.. ثم سألها..

- « ما الذي حدث؟ »

- « أبدًا.. كان يبدو عاديًّا.. وفجأة عندما كادت تلك الممرضة أن تعطيه حقنة، بدأت نبضات قلبه فى التسارع حتى توقف.. »

أشعل سيجارة لنفسه:

- « تقصدين (أسماء)؟ »

هزت رأسها بحيرة تُفكر:

- « كانت غريبة!.. »

- « كيف؟ »

- « قبل أن تسقط مباشرة، نظرت إلى صورة ابنتى (سلمى) وأخذت تردد أشياء غير مفهومة.. »

- « أشياء مثل ماذا؟ »

ضاقت عينيها تقول بانفعال:

- « جُمل قصيرة مثل.. (نفس الوجه).. (إنها هى).. وكلمات أخرى تُوحى أنها رأت (سلمى) من قبل!.. »

ثم صمتت تقاوم رغبة فى البكاء، احترم المدير ذلك حتى رفعت وجهها..

- « لماذا لا نفترض صدقها؟ »

- « ماذا تعنى؟ »

هز كتفيه يقول ببساطة:

- « أن تكون قد رأت (سلمى) فعلًا.. »

- « لا.. أرجوك.. لا أريد التعلق بهذا ثانية.. »

نهض يلتف حول المكتب يُغذى الفكرة:

- « أعرف أن هذا صعب، لكن رغم مرور كل تلك المدة، لم يستطع أحد تأكيد وفاة (سلمى)، حتى الشرطة فشلت فى تبرير غيابها.. »

قاومت أفكاره.. واستمر الحديث بينهما بعض الوقت، لكن (إبراهيم) الواقف خارج المكتب اكتفى بما سمع وابتعد فى هدوء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حمل صوت (أسماء) صرخة مكتومة وهى تجلس فوق السرير تحدق بالوجوه..

- « حمدًا لله على السلامة.. »

- « ما الذي حدث؟ »

لم يُجبها أحد.. فقط وقعت عيناها على صورة (سلمى)..

- « أريد الخروج من هنا.. »

منعها التمريض وهى تُشير للصورة بعصبية..

- « أبعدوها.. »

دون فهم أسرع (طارق) بوضع الصورة فى الدرج..

- « أمبول (فَاليام) (valium).. »

نامت (أسماء) على الفور إثر المُهدئ القوى..

استطرد (طارق) يسأل:

- « ما رأيك؟ »

اقترب (وليد) يفكر:

- « لا تفسير لدى.. »

أخرج (طارق) الصورة وتأملها..

- « يبدو أن هناك جانبًا نفسيًّا لا نعلمه.. »

(وليد) بإرهاق..

- « ربما.. المهم عندما تفيق لابد ألا تكون هنا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

6 - شلبى..

عمال أمن المركز.. (عبد السلام).. دبلوم صنائع.. حاول العمل فى كل شىء تقريبًا.. فلم يجد نفسه سوى فى الصراع مع الآخرين (البلطجة)، كنوع من تحقيق ذاته الفارغة!.. لكن ظل جسده الضعيف وقامته القصيرة تقف عائقًا أمام انطلاقه.

الثانى (عمران).. لص مستشفيات تائب، لم يتخصص فى نوع معين من السرقات.. فقد كان يسرق أى شىء تطوله يده.. لدرجة ألواح خشب أسرة المرضى وسكن الأطباء، أتصور أن هذا ما قضى عليه مبكرًا.. فالتشتت عدو النجاح.

طبعًا لم يعرف (طارق) شيئًا عن هذا التاريخ المشرف لعماله حتى الآن، كانت ترشيحات العم (عثمان) الذي يدعى فهم الرجال، لكن فيما يبدو أنه كان يختار بمعيار مطاريد الجبل وليس رجال للأمن.

اقترب (عبد السلام) العصبى بطبيعته من أن يَسُب ويلعن من كثرة الضغط عليه.. فهو و(عمران) تقريبًا يفعلان كل شىء بالمركز دون مساعدة، التسجيل الطبى.. الاستدعاء.. قطع التذاكر، هذا غير دورهم الهام فى فض المعارك..

قال (عبد السلام) بغيظ:

- « لقد بدأت أملّ هذا العمل.. »

أجاب (عمران) البارد:

- « أين سوف نذهب؟.. البلد حالها سيئ.. والدكتور يُعاملنا جيدًا.. »

(عبد السلام) بسخرية:

- « كان عندى طموح كبير بعد الثورة.. »

- « فى ماذا؟.. أن تُصبح وزيرًا؟! »

مط (عبد السلام) شفتيه بجدية:

- « ليس لتلك الدرجة طبعًا.. كان يكفى عضوية مجلس الشعب.. »

انطلق الاثنان فى الضحك لحظة تدخل مريض من النوع المُستفز:

- « لماذا تأخر الدكتور؟ »

حاول (عبد السلام) التحلى بالثبات الانفعالى.. فهذا السؤال بالتحديد يُثير أعصابه:

- « دقائق وسيأتى.. »

- « حضرتك قلت لى هذا الكلام من ساعة، الحالة خطيرة يا أستاذ.. »

هنا انفجر (عبد السلام):

- « أنت لم تتجاوز العشر دقائق.. »

بدأ الاشتباك.. وأخذ المريض يُلوح بيده:

- « أين الدكتور؟.. ابنتى تموت.. »

كاد (عبد السلام) أن يفتح المطواة لولا أن ظهر د (شلبى):

- « أين الحالة؟ »

تراجعت لهجة المريض:

- « حضرتك الدكتور المعالج؟ »

تأمله (شلبى) أخصائى الأمراض النفسية والعصبية بنظرات مُخيفة زائغة:

- « نعم.. »

تقدمه الرجل بلهفة:

- « من هنا.. »

بعد انصرافه.. همس (عبد السلام):

- « هل الدكتور (شلبى) هو الذي سيعالج الحالة؟ »

(عمران) بلامبالاة:

- « نعم.. لماذا تسأل؟ »

- « ربنا يستر.. الأسبوع الماضى كاد أن يقتل أحدهم.. »

تبادل الاثنان نظرات الصمت ثوان.. ثم انفجرا فى الضحك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دكتور (شلبى عبد العظيم) أحد شركاء (طارق).. والعاملين بالمركز، دكتوراه أمراض نفسية وعصبية (العباسية).

شخصية (characteristic) جدًّا، بمعنى أنه يحمل بصمة نفسية مميزة ومُسلية فى ذات الوقت، ملامح حادة.. عيون زائغة.. وأصلع تمامًا.

لكن به عيبين لا تستطيع تجاهلهما، الأول أنه لم يترك صنفًا من العقاقير المُخدرة، التي يستخدمها مع المرضى لم يجربه على نفسه.

والثانى أنك حين تتعامل معه تشعر بأن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام، وأن هناك مُصيبة ما قادمة..!

نعود إلى الحالة التي يباشرها..

كانت فتاة بمنتصف العشرينات، هذا لو جاز أن نطلق عليها تشريحيًّا لقب فتاة أصلًا، فكل ما يتعلق بها لا يمس الأنوثة بشىء..

شعر مَنحول مُنتصب، عيون زائغة تبحث عن المجهول، جلد بشرة يَشى أنها عاشت طفولة مُشردة..

دلف (شلبى) يرى الحالة التي تجلس القرفصاء.. شاخصة العين.. تعوى كالذئاب:

- « اعاااا ... »

تبكى الأم والعمة المُتشحتان بالسواد:

- « ابنتى.. ابنتى.. »

- « ما اسمها؟ »

- « (صباح) يا دكتور.. »

يقترب (شلبى) بحذر:

- « (صباح).. (صباح).. هل تسمعينى؟ »

تظل الفتاة تنظر نحو المجهول حتى اقترب (شلبى) أكثر.. وفجأة يعود العواء:

- « اعاااااووو.. »

انتفض (شلبى) للخلف بغيظ قبل أن يسأل ثانية:

- « هل حدث لها هذا من قبل؟ »

- « نعم يا دكتور.. كثيرًا.. »

دفع العواء (طارق) للقدوم بسرعة.. يقول بقلق:

- « فيه إيه؟ »

(شلبى) بعمق:

- « حالة هستيريا.. لكنها نوبة (attack) شديدة.. »

تأملها (طارق) بانزعاج:

- « تعامل معها سريعًا.. المهم أن يتوقف هذا الصراخ.. »

- « اطمئن.. سيتوقف.. »

ثم التفت للتمريض يستطرد بحماس:

- « مُهدئ.. »

- « اعاااااااااا.. »

عاد (طارق) لمكتبه.. بينما شرع التمريض فى تجهيز المحقن..

- « هل نعطى الأمبول الآن يا دكتور؟ »

- « بل اثنين.. »

- « حاضر.. »

نفذت الممرضة.. فسكنت الحالة قليلًا..

- « جهزى جرعة أخرى.. »

ترددت الممرضة:

- « كتير عليها يا دكتور.. »

عاد صراخ (صباح) أقوى..

- « اعاااا.. شووووو.. خاااا ... »

انفعل (شلبى):

- « نفذى بسرعة.. »

انتفضت الممرضة المسكينة:

- « حاضر.. حاضر يا دكتور.. »

بدأ وجه (شلبى) النفسى فى الظهور، أعطت الممرضة الجرعة الثالثة بيد مرتعشة، لكن الصراخ لم يتوقف، كان الصوت حقًّا مُثيرًا للأعصاب..

ازداد انفعال (شلبى) وهو يفحص عينيها:

- « أريد (نيوريل) (neuril).. »

ثم وثب على الحالة يمسكها من ملابسها.. و ... بدأ الضرب..

مجموعة صفعات متتالية نزلت على وجه الفتاة بغل حقيقى..

- « (صباح).. »

- « اهاااااااا.. »

- « (صباح).. »

- « اعاااااااا.. »

ازداد بكاء النساء، انزعج الأب، تراجع التمريض، هربت بعض الحالات، حتى تلاحقت أنفاس (شلبى) فتوقف:

- « أعطها النيوريل.. »

تلقت الفتاة أمبول المخدرات.. فغابت عن الوعى قليلًا، نمى شبح ابتسامة رضا على وجه (شلبى) فى لحظة عودة (طارق):

- « ما الذي يحدث؟ »

أشار (شلبى) وهو يلهث:

- « كُنت أحاول إفاقتها بطريقة الصدمات.. »

- « وكيف تبدو تلك الطريقة؟ »

(شلبى) باستياء من جهله العلمى:

- « الضرب.. »

تأمل (طارق) الأجواء المتوترة ووجه الفتاة الأحمر.. قبل أن يهمس فى غيظ:

- « لقد طلبت إسكاتها.. وليس قتلها!.. »

- « لقد استجابت كما ترى.. »

نظر (طارق) للأهل بحرج:

- « أشعر أن هذا لن يمر على خير.. »

هنا فجأة عاد العواء، توتر (شلبى) وبدأت شفتاه ترتعشان كأى طبيب نفسى يحترم مهنته، قالت ممرضة الطوارئ بخوف:

- « لقد انتهت فَترتى يا د (طارق).. زميلتى (دينا) ستأتى حالًا.. »

صرخ بها (شلبى) وهو يمسك ذراعها..

- « ليس قبل أن تجهزى أمبول (نيوريل) آخر.. »

أشارت لدولاب الأدوية:

- « الطوارئ ليس بها سوى أمبول (نيوريل) واحد يا دكتور.. انظر..»

فحص (شلبى) الدولاب فى شك.. ثم أردف بانفعال:

- « أحضرى واحدًا آخر من الصيدلية بسرعة.. »

- « حاضر.. »

ثم انطلقت تهرول مقررة عدم العودة، شعر (طارق) أن الموقف يذهب نحو عدم السيطرة، غادر الطوارئ هو الآخر، فى حين عاد (شلبى) يمارس طريقته العلاجية بالصدمات، لكن الصفعات هذه المرة كانت أكثر قسوة لدرجة أن العواء تحول لأصوات مكتومة..

- « هخخخ.. عووووو.. »

صوت بكاء الأم والعمة جعل رجال الأمن يقتحمون الغرفة..

- « كفى يا دكتور.. »

- « اتركونى.. »

قام (عبد السلام) و(عمران) - وسط مقاومة ضحكاتهم المكتومة - بسحبه من فوق جسد الفتاة المسكينة..

- « قلت لكم.. اتركونى.. »

عاد (طارق) يلهث:

- « هذا الدواء سَيُشفى ابنتكم إن شاء الله.. »

لفت الأنظار إليه.. وتعلقت عينا (شلبى) بالأمبول الذي يحمله..

- « إنه (بيثيدين)(pethidin).. أليس كذلك؟ »

تجاهله (طارق).. فجُن جنون (شلبى) أكثر وهو يردد:

- « المستشفى بها (بيثيدين) وأنا لا أعرف.. »

كان (طارق) يُخفى تلك النوعية من الأدوية عنه لأنه يعطيها لنفسه أحيانًا، كبل (عبد السلام) و(عمران) حركته أكثر، وسط ضحكاتهم التي خرجت عن السيطرة، أمرهم (طارق) بإخراجه.. ثم التفت يتحدث إلى أهل الفتاة:

- « ستكون بخير الآن.. »

وبالفعل لم يكد ينهى عبارته حتى بدأ سحر(البيثيدين) الشهير، هدأت (صباح) تمامًا واختفت التشنجات والصرخات.. وبدأ عقل (طارق) يبحث عن مخرج:

- « أرجو ألا يغضب أحدكم من د (شلبى)، إنه من أكفأ الأطباء لدينا، هو فقط كان يحاول مساعدة (صباح)، لأنها ممسوسة بجنى عاشق يرفض مغادرة جسدها!.. »

بهتت الوجوه.. وضربت الأم على صدرها.. و(طارق) يستطرد:

- « هذا الجنى حاول د (شلبى) إخراجه منها بطريقة الضرب.. »

العمة:

- « كُنت أشعر بهذا.. »

تدخل الأب بقلق:

- « والعمل يا دكتور؟ »

مط (طارق) شفتيه يفكر باهتمام:

- « ليس أمامكم سوى العلاج النفسى، أعرف أحدهم يطرد الأرواح الشريرة، دكتور (رفعت إسماعيل).. »

الأب:

- « وكيف نصل إليه؟ »

- « القصر العينى، لكنى أظنه ليس فى (مصر) تلك الأيام، أعتقد أنه مسافر إلى (إنجلترا) أو (أسكتلندا).. فهو يحب التسكع فى تلك الأماكن.. »

شد الأب على يده مُصافحًا..

- « سننتظر عودته.. شكرًا يا دكتور.. »

واصطحبوا الفتاة وغادروا المركز.. فتنفس (طارق) الصعداء بلسان حال يردد:

- « الله يخرب بيتك يا (شلبى).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

7 - ليلة طويلة..

الليل.. إضاءة خافتة.. رائحة تبغ وقهوة تملأ المكان..

- « موضوع (عاصم) طال أكثر من اللازم!.. »

المدير وهو يراجع بعض الأرقام:

- « تكاليف الإقامة يتم دفعها بانتظام.. »

اعتدل مَالِك مستشفى (دار الشرق) ضخم الجثة:

- « لم يعد الأمر يتعلق بالمال.. »

دخان سجائر كثيف يخرج من المدير:

- « معك حق.. هذه الحالة أصبحت مصدر إزعاج.. »

- « والحل؟ »

- « لست أدرى! »

رشف المالك بعضًا من قهوته:

- « هل عرضت نقله لمكان آخر؟.. أو حتى السفر للخارج؟ »

ابتسم المدير من سذاجة الاقتراح:

- « (فريدة) ترفض بشدة.. وعندما اضغط تُلوح بأننا جزء مما أصابه.. »

كاد المالك أن يخرج عن شعوره:

- « أنا لا أحب هذا الأسلوب.. »

- « اهدأ.. سنجد حلًّا.. »

ضاقت عينا المَالك وهو يفكر وسط سُحب الدخان:

- « منذ متى وهذا الرجل على جهاز التنفس الصناعى؟ »

- « عام تقريبًا! »

- « هل تعرف حالات فى تاريخ الطب ظلت عالقة كل تلك المدة؟ »

مط المدير شفتيه وهو يطفئ السيجارة:

- « حالات قليلة.. »

- « نحن نرى إذن رجلًا ميتًا!.. ولن يلومنا أحد لو فقدناه.. »

التقت أعينهم فى صمت بعدما أدرك المدير ما يرمى إليه..

- « هناك شىء آخر يحدث لابد أن تعرفه، هل تذكر قصة (مروة)؟ »

- « نعم.. فتاة العناية.. »

- « أشعر أن نفس الحكاية تتكرر الآن مع أخرى اسمها (أسماء)! »

توتر المَالك:

- « ما هذا التخريف؟.. سمعة المستشفى لن تتحمل، الصحافة تركز معنا منذ حادثة ضابط الشرطة.. »

المدير بلهجة حاسمة:

- « اطمئن.. سأغلق كل تلك الملفات الليلة.. »

- « ماذا تنوى؟ »

- « ما كان يجب أن يحدث منذ البداية؟! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تاكسى يقل (أسماء) و(علا)، قاصدًا منزل الأولى فى اتجاه مصر الجديدة، ساد الصمت بينهم غالبية الطريق..

- « ماذا تعرفين عن (عاصم) هذا؟ »

نظرت لها (علا) بإشفاق وهى تقول:

- « أرى أن نؤجل الحديث فى هذا الآن.. أنت تعبانة و....»

قاطعتها (أسماء) بحدة:

- « من فضلك.. أخبرينى بما تعرفين.. »

تنهدت (علا) ثم قالت:

- « لا شىء أكثر من أنه شخص قام بحادث سيارة، أثناء ما كان يقود على سرعة (١٦٠).. وهو ذاهب لإحضار ابنته الوحيدة المخطوفة بعد دفع الفدية.. »

ضاقت عين (أسماء) مُحاولة التركيز:

- « فدية؟! »

- « نعم.. (سلمى) التي توجد صورتها بغرفته.. »

- « أعرفها.. »

لحظة صمت قبل أن تضيف (علا):

- « تصورى أنهم وجدوا معه عشرة ملايين جنيه محروقة بالسيارة! »

- « وماذا عن الفتاة؟ »

- « لا أحد يعرف مصيرها!! »

توقف التاكسى.. وقال السائق:

- « العنوان المطلوب.. »

هبطت الاثنتان واستندت (أسماء) على (علا) حتى باب الشقة، استقبلتهما الأم بقلق:

- « ماذا حدث؟ »

ابتسمت الأخيرة:

- « بسيطة إن شاء الله.. »

احتضنت الأم ابنتها الشاحبة تمامًا..

- « قلت لك أن تستريحى اليوم.. »

أضافت (علا) محاولة تلطيف الموقف:

- « أنا أيضًا طلبت منها نفس الطلب صباحًا، لكن ابنتك عنيدة.. »

(أسماء):

- « أين بابا؟ »

- « هنا يا حبيبتى.. »

احتضنته وسارت بجواره حتى نامت فى سريرها.. سألت الأم:

- « ماذا حدث؟ »

التقت عينا (علا) و (أسماء) سريعًا قبل أن تقول:

- « بعض الهبوط مثلما حدث أمس.. »

تسرب الشك للأم من لهجة (أسماء) السريعة فى الرد، كأنها كانت تخاف أن تتورط (علا) فى قول شىء آخر:

- « غدًا نجرى بعض الفحوصات.. »

الأب بحنان:

- « طبعًا.. »

ابتسمت (علا) بتوتر:

- « اسمحوا لى بالانصراف.. »

- « ابقى قليلًا.. »

- « للأسف لا أستطيع.. عندى فترة مسائية.. »

رافقتها الأم للخارج وهى تشكرها على ما فعلت.. ثم قالت فجأة:

- « أشعر أنكم تخفون عنى شيئًا.. »

تمالكت (علا) نفسها.. وجاهدت كى تبتسم:

- « أبدًا.. (أسماء) بخير و.... »

لكن ملامح قلق الأم جعلتها تتراجع.. وتخبرها بكل ما حدث اليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

منتصف الليل.. لم يستطع (إبراهيم) النوم!.. فهناك شىء ما يؤرقه ويجعله بعيدًا عن الصفاء المطلوب، ينهض يجلس القرفصاء يفكر..

- « يبدو أنه لا مفر؟ »

ارتدى معطفه الثقيل القديم.. الذي يُذكرك بأبطال روايات (تشارلز ديكنز) الفقراء وهم يسيرون ليلًا فى شوارع (لندن) المُوحلة!.. ثم ألقى نظرة سريعة عبر الشرفة، كانت الأجواء باردة لكنه لم يتراجع.

وضع يده فى جيب المعطف.. وبدأ يقطع المقابر نحو الجانب الآخر!

المكان تُغلفه الرهبة.. لدرجة أنه لم يؤنس وحشته سوى صوت الكلاب الذي تعرفه.. ودخان الحشاشين المُنبعث من مقبرة قريبة!

- « أهلًا (إبراهيم).. »

اكتفى بالتلويح.. ثم اقترب يسأل (نَدُورجى) الليل، الذي يضعه الحشاشون لتحذيرهم عند ظهور الشرطة:

- « أين أجد (نشأت)؟ »

هرش البصَّاص ذقنه الملبدة القذرة:

- « لا أعرف.. لكن قد تجده فى المُكنة!.. »

- « يبدو أنك عجّزت.. »

ضحك الندورجى لتبدو أسنانه الصفراء القذرة، فى حين استمر (إبراهيم) فى طريقه حتى خرج من محيط المقابر.. لتبدو خرائب أكثر رعبًا..

برز له فجأة شاب نحيل أصلع يحمل سلاحًا أبيض:

- « توقف.. »

لم يهتز (إبراهيم) وثلاثة رجال آخرون ينضمون له، اقترب كبيرهم يسلط على وجهه ضوءًا:

- « إلى أين؟ »

ابتسم (إبراهيم) فى غموض:

- « كيف حالك يا (حَنتيشة)؟ »

ضاقت عينا الرجل:

- « غريبة!.. لم يعد أحد يستخدم هذا الاسم!! »

واقترب أكثر يسلط المزيد من الضوء على وجهه، حتى تعارفت الأعين.. وتغيرت نبرة الصوت للود:

- « (إبراهيم)!! »

ثم صافحه فى حرارة.. وهو يأمر رجاله بتنزيل السلاح، استجابوا فى ضجر..

- « مازلت تذكر الاسم؟ »

(إبراهيم)..

- « هذا ما عرفتك به.. »

- « كل شىء يتغير.. اسمى الآن هو (البرنس).. »

- « معك حق.. »

ثم تأمل (إبراهيم) المنطقة مُستطردًا:

- « أرى أنك أصبحت تملك عصابة محترمة! »

ضحك (حَنتيشة):

- « لا تفهم الموقف خطأ.. فهذا لزوم الحماية فى منطقة خطيرة كما ترى، أنا أعمل الآن فى سمسرة السيارات..»

(إبراهيم):

- « عظيم.. أين أجد (نشأت)؟ »

- « المجنون! »

ضحك الرجال.. و(حنتيشة) يستطرد:

- « يمكننى أن أقضى لك ما تريد بعيدًا عنه.. »

(إبراهيم) بتحفظ:

- « أعرف أنك خدوم.. لكننى أريده شخصيًّا.. »

لحظة صمت.. ثم أشار (حنتيشة):

- « إنه فى ذلك المبنى المنعزل هناك.. »

تأمل (إبراهيم) البيت.. و(حنتيشة) يستطرد:

- « هل تُحب أن أنتظرك هنا؟ »

اكتفى (إبراهيم) بأن ربت على كتفه بود.. ثم تحرك..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف (إبراهيم) للمنزل.. إضاءة خافتة.. صور غريبة.. تماثيل.. وتفاصيل أخرى كثيرة تقول أن مَنْ يسكن هنا نفسيته ليست على ما يرام، استقبله شخص صغير الجسد يقول بلهجة مُضحكة:

- « أمرك سِيدى؟ »

- « أريد مقابلة (نشأت).. »

همس الرجل بخوف توجسى:

- « الأستاذ معه حالة.. »

ارتسمت علامة السخرية فوق شفتى (إبراهيم):

- « منذ متى وأصبح (نشأت) أستاذ؟ »

وأزاحه عن الطريق ليتقدم عبر الردهة.. لاحقه الرجل بذعر:

- « أرجوك.. أرجوك سِيدى.. لست حِمل غضبه.. »

وصل (إبراهيم) لباب الغرفة التي يعمل بها (نشأت).. ثم توقف يهمس:

- « لا تخف.. لن اقتحم خِلوته.. فقط أريد رؤيته وهو يعمل.. »

استسلم الرجل ووقف بجواره يرمق ما يحدث..

كانت الغرفة تضم خمسة أفراد.. أب.. أم.. عم.. خال.. وفتاة تهذى بأشياء غير مفهومة، الكل يجلس يراقب فى توتر ما يقوم به المُعالج حتى صاح:

- « مرآة.. أريد مرآآآة.. »

هنا اندفع الرجل صغير الجسد - برعب حقيقى - يُحضر ما يريد، التقط منه (نشأت) المرآة الكبيرة بيد عصبية.. ثم وضعها أمام الفتاة التي هدأت قليلًا!.. لكن ظلت عيناها تحمل تلك النظرة الشيطانية المُخيفة!.. صرخت الأم:

- « هذه ليست ابنتى!.. »

- « اصمتى.. »

وضع الزوج يده على فم الأم الباكية والمشهد يتصاعد، استمر (نشأت) بتقريب المرآة الكبيرة تدريجيًّا من الفتاة..

- « انظر تلك هى حقيقتك.. »

أخذت الفتاة تنتفض!.. بينما أحد مَنْ فى الغرفة دفعه الفضول كى يقترب ويرى ما يظهر فى المرآة؟!.. فيما بعد سيقسم أنه قد رأى شيطانًا، أما الآن فقد أخذ يُمارس الصراخ والجرى..

لم يخرج (نشأت) عن تركيزه وهتف بحسم:

- « الآن.. »

ويبدو أن الشيطان المُراهق عديم الخبرة انساق للخدعة!.. وقفز للمرآة وأصبح أسير أبعادها الثنائية، أصابه الغضب وبدأ يحاول الفرار..

سقطت الفتاة على الأرض فى حين جاهد (نشأت) لحمل المرآة التي تضاعف ثقلها مُحاولًا الوصول بها للشرفة.. تدخل (إبراهيم) يمنعه:

- « توقف.. طوله أربعون ذراعًا وقد يلبس وعاء آخر! »

استوعب (نشأت) العبارة بسرعة:

- « والحل؟ »

ساعده (إبراهيم) على حمل المرآة يقول:

- « لابد أن يُدمر فى الفراغ.. سنصعد لارتفاع أكبر.. »

- « السطوح.. »

اندفع الاثنان نحو سلالم المبنى المتآكلة حتى الدور الخامس.. وبصعوبة التقط (إبراهيم) حجر بيده الحرة.. ثم نظر كل منهم للآخر نظرة استعداد..

وعند لحظة حسم معينة، ألقوا المرآة بكل قوتهم و(إبراهيم) يُصيبها مُحلقة بالحجر، دوت صرخة شيطانية فى المنطقة!.. وكل منهم يرتمى يحمى وجهه..

بعدها ساد الهدوء ونهض (نشأت) يتأمل الفراغ:

- « كيف استطعت تحديد طوله؟ »

نفض (إبراهيم) معطفه:

- « الشيطان الذي تُسقطه خدعة كهذه.. عادة ما يكون كذلك.. »

(نشأت) بعدم رضا:

- « ما زلت مغرورًا! »

- « وأنت ما زلت جاهلًا.. »

هبط الاثنان.. وسأل (نشأت):

- « ماذا تريد إذن من الجاهل؟ »

تجول (إبراهيم) فى صومعته ببطء يعبث فى أغراضه، كتب.. طلاسم.. شرائط أفلام رعب.. الحلقة.. طاردوا الأرواح الشريرة.. قسطنطين.. قال بسخرية:

- « هل تستمد ثقافتك من هنا؟ »

أزاح (نشأت) الشرائط من يده:

- « ما الذي أتى بك؟ »

استمر (إبراهيم) فى العبث بأغراضه..

- « أحاول تلبية رغبة العم (إسماعيل).. »

- « العجوز المخرف؟ »

تأمله فى تهكم:

- « غريبة!.. مع أنه يؤمن بموهبتك الزائفة.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثانية بعد منتصف الليل، جلست (علا) تتابع حالة (عاصم)، محاولة التغلب على الإرهاق والقلق الذي يعتريها من مجرد تواجدها بالغرفة، خاصة بعد أحداث اليوم..

- « تستطيعين الراحة قليلًا.. »

كان هذا صوت زميلها (عزت).. ابتسمت (علا):

- « غريبة!.. منذ متى أصابتك تلك الأخلاق؟ »

ابتسم (عزت):

- « من البداية.. أنت فقط التي لا تُبصرين.. »

ضحكت (علا).. وهى تذهب للاستراحة:

- « لن أغيب.. هل تحب أن أحضر لك شيئًا تشربه؟ »

- « كوب لاتيه.. »

- « بدأنا الاستغلال.. »

ضحك وجلس يعبث بهاتفه الخلوى.. حتى مر الوقت وشارفت الساعة على الثانية والنصف.. وفجأة انطلق إنذار ال- (code blue)، انتفض (عزت):

- « سترك يا رب.. »

ثم اندفع نحو الغرفة التي انبعث منها الإنذار يُساعد زملاءه كما يقتضى بروتوكول العناية، كانت الغرفة بآخر الممر، صدم أحد زملائه فى الطريق:

- « حالة مَنْ؟ »

- « (عبد الباسط).. »

- « غريبة!.. هذا الرجل كان سيخرج غدًا، لا حول ولا قوة إلا بالله.. »

دلف الفريق للغرفة وبدأ العمل، تحسس د (وليد) شريانه العنقى بدهشة:

- « توقفوا.. »

تمتم أحد أعضاء فريق التمريض بأسف:

- « إيه؟.. توفى؟ »

(وليد) بتهكم:

- « لا.. الرجل قلبه سليم ولم يتوقف أصلًا! »

تبادلوا نظرات الدهشة والبلاهة:

- « يعنى إيه؟ »

- « يعنى هناك شىء ما خطأ بجهاز ال- (monitor).. »

استيقظ العجوز (عبد الباسط) من نومه الثقيل أخيرًا.. يقول بخوف:

- « خير يا دكتور.. »

ابتسم (وليد) يربت على يده:

- « لا تقلق.. كنا فقط نطمئن عليك.. »

ظل العجوز يتأملهم برعب.. حتى رفع أحد شباب التمريض سلكًا غليظًا مفصولًا من خلف السرير، قال (وليد) بعصبية:

- « مَن المسئول عن تلك الحالة؟ »

- « أنا يا دكتور.. »

- « أين كنت وهذا يحدث؟ »

أجاب بلهجة صادقة:

- « انا لم أترك الحالة سوى لخمس دقائق ذهبت فيها للحمام.. »

كان (وليد) يعرف التزام هذا المُمَرض جيدًا.. وكاد أن يغض الطرف وينتهى الموقف نهاية سعيدة.. لولا أن اقتحمت (علا) الغرفة تلهث:

- « (عاصم بك) يا دكتور.. »

- « ماذا أصابه؟ »

- « لا أعرف!! »

انطلق الجميع نحو غرفته.. فوجدوا وجهه يكاد يتحول للون الأزرق..

- « نقص حاد بالأكسجين! »

على الفور فحص (وليد) جهاز التنفس الصناعى فوجده سليمًا..

- « إنها الأنابيب؟ »

مرت عشر ثوانٍ أخرى دون أن يصل لإجابة!.. فلم يجد أمامه حلًّا سوى فصل الجهاز.. والاستعانة بالتنفس اليدوى، كان قرارًا صعبًا لكن الحالة تحسنت وبدأت تعود، التقط (وليد) أنفاسه:

- « أريد جهاز تنفس صناعى آخر بسرعة غير ذلك.. »

جلب التمريض الجهاز البديل.. فوصله (وليد) بنفسه بعدما عبث بأزراره.. ثم وقف يراقب الحالة حتى استقرت..

- « ما الذي حدث؟ »

حَكت (علا) ما جرى دون تردد:

- « وبمجرد انطلاق الإنذار عُدت بسرعة للغرفة لأنى أعرف أن (عزت) عضو بفريق الإغاثة.. »

(وليد) وهو يفحص الجهاز الذي تم رفعه عن (عاصم):

- « هذا يعنى أن الحالة بقيت على الأقل خمس دقائق دون تمريض؟ »

(علا) بتوتر:

- « أقل من ذلك يا دكتور!.. المسافة من الاستراحة للعناية لا تتطلب هذا الوقت.. »

استمر (وليد) فى الفحص.. ثم قال بهدوء غريب لا يناسب الموقف:

- « هل لمستى هذا الجهاز؟ »

- « لا طبعًا!.. ولماذا أفعل ذلك؟.. إنه من اختصاص الأطباء فقط.. »

اعتدل يضيف بحسم:

- « هناك مَنْ عبث فى هذا الجهاز؟ »

تجمعت دموع (علا):

- « مستحيل.. »

نظر (وليد) لوجوههم:

- « ليس هذا فقط.. بل وتعمد إتلافه أيضًا.. »

بَكت (علا):

- « أنا لا أعرف شيئًا أصلًا فى تلك الأجهزة، كل معرفتى بها تنحصر فى زيادة معدل الأكسجين كما علمتنى حضرتك.. »

كان (وليد) يصدقها لأن مَنْ فعل هذا شخص محترف يُجيد البرمجة..

- « أنا لم أتهمك بشىء على فكرة.. »

ثم عدل نظارته وغادر الغرفة:

- « لا أريد أخطاء أخرى الليلة.. »

(علا) بحماس وسط دموعها:

- « حاضر.. لن أغفل ثانية.. »

هنا.. ابتعد المدير عن شاشة كاميرا المراقبة فى غيظ، بعدما فشلت تمامًا خطته الأولى للخلاص من (عاصم)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثالثة فجرًا.. رن هاتف (طارق).. ففتح الخط يردد بشكل غريزى:

- « ألو.. »

- « د. (طارق) الحمد لله أننى وجدت حضرتك.. »

أثارت لهجة المتصل اهتمامه:

- « أنا والد (أسماء).. ممرضة عناية مستشفى (دار الشرق).. »

- « آه.. تذكرتك!.. خيرًا؟ »

خطفت الأم السماعة تبكى:

- « (أسماء).. (أسماء) فاقدة للوعى ووجهها شاحب بشدة.. »

عادت السماعة للأب:

- « أنا آسف على الإزعاج الذي نسببه لك يا دكتور، لكننا لا نملك غيرك الآن بعد الله.. ولا نعرف ماذا نفعل؟ »

لحظة صمت قبل أن يقول (طارق):

- « هل تستطيعون إحضارها للمركز؟ »

الأب بلهفة:

- « نعم.. »

- « فى انتظارك.. »

وكان هذا يعنى أن (طارق) لن ينام الليلة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

8 - فريدة..

اليوم التالى الحادية عشرة صباحًا، فتحت (أسماء) عينيها فجأة!.. بعدها دخلت مرحلة التعرف على المكان..

تأملت الغرفة والستائر المتواضعة.. والأبوين المُستلقيين على كنبة بجوارها، رفعت جسدها قليلًا مُحاولة تذكر أى شىء؟.. فاكتنفها الصداع.

نهضت بعدم اتزان واتجهت للشرفة، صوت الطيور وكثافة الأشجار لَطّفا قليلًا ما بداخلها.. فآخر شىء تذكره عودتها للمنزل مع صديقتها (علا)..

- « صباح الخير.. كيف حالك الآن؟ »

تعرفت على صاحب الصوت مباشرة، دكتور (طارق) وهى تعتدل فى سريرها:

- « الحمد لله.. »

استيقظ الأبوان.. احتضنتها الأم بانفعال:

- « حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتى.. أأنت بخير؟ »

- « بخير يا أمى.. اطمئنى.. »

ران بعض الصمت قبل أن يضيف الأب:

- « نحن فى مركز د. (طارق) الخاص، بعدما أصر أمس على إحضارك.. »

أماءت برأسها فى امتنان.. ثم سألت:

- « متى أستطيع الخروج؟ »

(طارق) ببساطة:

- « وقتما تريدين.. فأنت غير مريضة أصلًا.. »

تدخل (شلبى) الذي ظهر فجأة عند باب الغرفة:

- « أنا ضد هذا الرأى.. من الأفضل بقاؤك يومين تحت الملاحظة.. »

نظرت (أسماء) ل- (طارق) تنتظر تعليقه.. فقال بإحراج:

- « الدكتور (شلبى)، أخصائى النفسية والعصبية.. »

تأملت (أسماء) كل الوجوه للحظة.. ثم أضافت بحدة:

- « لماذا؟ »

اقترب (شلبى) يقول بطريقته المُخيفة:

- « حتى نطمئن.. »

(أسماء) بمزيد من الحدة:

- « أنا لم أسأل عن سبب اقتراح حضرتك بالبقاء!.. أنا أسأل عن سبب احتياجى لطبيب نفسية وعصبية من الأساس؟ »

تدخل (طارق) محاولًا تلطيف الموقف:

- « نحن عادة عندما نجد المريض خاليًا من أى مرض عضوى واضح!.. نقوم بإجراء بعض الفحوصات للاطمئنان ليس أكثر.. »

الأم بحماس زائف:

- « فكرة جيدة.. إيه المانع؟ »

(أسماء) بعنف:

- « أمى! »

تراجعت الأم بنفس الحماس:

- « خلاص يا حبيبتى نخرج.. »

(أسماء) بحسم:

- « أنا بخير يا دكتور، كل الموضوع أننى مجهدة قليلًا تلك الفترة.. »

وبدأت تلم أغراضها بانفعال، ران على الغرفة الصمت.. وعينا د (طارق) تلتقى بعينى الأب الذي تدخل يقول بحكمة:

- « على العموم المركز ليس ببعيد.. ولو حدث أى شىء سنعود.. »

(طارق) ببساطة:

- « المكان تحت أمرك.. »

تأخر الأب قليلًا ليقول بإحراج:

- « أشكركم على كل ما فعلتموه مع (أسماء).. وأعتذر عن أسلوبها، إنها تُخالف طبيعتها هذه الأيام! »

- « أُقدر هذا.. »

صافحهم بحرارة ثم لحق بأسرته، قال (شلبى) وهو يتأملهم عن بعد:

- « هذه الحالة ليست طبيعية! »

(طارق) بسخرية:

- « إيه؟.. هل تريد علاجها هى الأخرى بطريقة الصدمات؟ »

- « أنا أتحدث بجدية على فكرة!.. هذه حالة نفسية واضحة.. »

تمالك (طارق) نفسه من الضحك.. وحاول أن يكون جادًّا:

- « ما المختلف فيها عن كل ضحاياك؟ »

- « الإنكار!.. المريض النفسى الحقيقى يُصيبه الإنكار.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا مدير مستشفى (دار الشرق) عصبى المزاج أكثر مما هو معتاد، تشعر حين رؤيته أنه ظل هنا طيلة الليل، اقترب (وليد) بإرهاق من المكتب.. فقابل أحد زملائه يخرج:

- « احذر!.. يبدو غير مُحتمل اليوم.. »

لم يكترث (وليد) للأمر.. وطرق الباب:

- « ادخل.. »

- « صباح الخير.. »

صمت المدير ولم يرد التحية:

- « خير؟ »

اقترب (وليد) فى ثبات:

- « هناك أمر لابد أن تعرفه؟ »

- « بعدين!.. بعدين..! »

- « آسف يا دكتور.. هذا لا يحتمل التأجيل.. »

وقدم له تقريرًا مُفصلًا لما حدث أمس مع حالة (عاصم)، التقط المدير منه الورقة بعنف.. ومشت عيناه سريعًا على الأسطر، كان التقرير يشير بوضوح لوجود نية تعمد فى إتلاف جهاز التنفس الصناعى؟.. وأن هذا يتطلب استدعاء النيابة أو على الأقل إجراء تحقيق داخلى.

خلع المدير عنه النظارة وقال بحدة:

- « عادى!.. أمر قد يحدث فى أى مكان.. »

كاد (وليد) أن يُضيف شيئًا، لكن أتت تلك الطرقات..

المدير بمزيد من الحدة العصبية:

- « ادخل.. »

كانت (أسماء) تبدو فى حالة يرثى لها.. استقبلها بسخرية بالغة:

- « أهلًا وسهلًا.. أهلًا.. أهلًا ... »

اعترضت ملامح (وليد) فى صمت على لهجته فى التعامل معها..

- « حضرتك أرسلت فى طلبى؟ »

عبث المدير ببعض الأوراق أمامه، بما لا يبشر بخير:

- « بصراحة لا أعرف من أين أبدأ!.. فتفاصيل قصتك هذه الأيام تصلح مسلسلًا، المستشفى كله لم يعد له حديث غيرك.. »

بثبات غير مُعتاد فى شخصيتها أجابت:

- « أنـا لا أفهـم ما الخطـأ الذي ارتكبتـه؟!.. كـل ما حـدث أننـى تعبـت فجأة.. »

ابتسم المدير فى استخفاف:

- « أنا لا أعرف سوى أن لدى مؤسسة أريد إدارتها بهدوء.. »

وسحب ورقة يمضيها بعنف يستطرد:

- « إجازة مفتوحة.. »

- « لكنى الآن غير مريضة! »

بصرامة غير مُبررة:

- « الموضوع غير قابل للنقاش يا آنسة.. تفضلى.. »

رمقها (وليد) بنظرة تعاطف:

- « (أسماء) من أكفأ مُمرضات العناية لدينا.. »

- « شفاعة غير مقبولة يا دكتور.. »

انسحبت (أسماء) تحبس دموعها.. فأضاف (وليد) ببرود تحفزى:

- « كُنت قاسيًا معها أكثر من اللازم.. »

تصاعد الموقف:

- « أفندم!.. إنه شأن داخلى يا دكتور.. وإن كان لا يرضيك القرار تستطيع الذهاب خلفها.. »

(وليد) بمزيد من البرود:

- « تقصد أننى أيضًا أستطيع اعتبار نفسى فى إجازة مفتوحة؟ »

- « كما تريد؟ »

سحب (وليد) ورقة بيضاء من فوق المكتب..

- « سأوفر عليك العناء.. هذه استقالتي.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سارت عربة (نشأت) القديمة تلوث الشارع بالعادم وصوت مُحركها المُزعج، أشار (إبراهيم):

- « هذا هو المنزل.. »

ركن (نشأت) قطعة الخردة بجوار الرصيف وارتجل يتأمل المنطقة الهادئة، تقدم (إبراهيم) بمشيته الجنائزية نحو إحدى الفيلات، استقبلهم البواب استقبالًا باردًا:

- « نريد مقابلة السيدة (فريدة).. »

- « فيه ميعاد سابق؟ »

- « لا.. »

البواب وهو يغلق الباب بسماجة:

- « الهانم لا تقابل أحدًا دون موعد.. »

دفع (إبراهيم) البوابة بعنف:

- « أعطها هذه الورقة.. »

تبادل معهم البواب نظرات التحدى.. ثم قال باستسلام:

- « حاضر.. لكن لا تتحرك من هنا.. »

لم يُعطه (إبراهيم) إجابة.. وظل يرمقه حتى ابتعد ثم دخل، استوقفه (نشأت):

- « لقد قال ألا نتحرك! »

وضع (إبراهيم) يديه فى جيب معطفه وتقدم فى صمت..

- « تعال.. »

لم يملك (نشأت) سوى تتبعه حتى باب الفيلا الداخلى.. وسمع (فريدة) تقول:

- « دعه يدخل.. »

- « حاضر يا هانم.. »

وفجأة وجد البواب (إبراهيم) خلفه، انزعج!.. فتدخلت (فريدة):

- « اذهب أنت.. »

لم يملك البواب سوى النظر إليهما فى غيظ.. ثم انصرف..

- « آسف على قدومى بتلك الطريقة.. »

- « أبدًا.. تفضل.. ثوان وسأكون معكما.. »

جلس الاثنان وأخذ (نشأت) يتأمل المكان، تمثال الحصان الجامح إياه، السلالم الداخلية اللامعة، البيانو اللعين، الستائر الفاخرة، الإضاءة الموزعة بعناية.

أخيرًا صورة كبيرة ل- (فريدة) هانم ابنة المجتمع الراقى تحتل نصف حائط، كانت حقًّا جميلة ذلك الجمال الذي يسمح بتمرير أى شىء!.. الجمال الذي يجعلها حين تتحدث تصبح أحكم الحكماء!.. فيصمت الجميع.

- « تفضلوا.. »

وضع الخدم أمامهما كوبين من العصير، بعدها ظهرت (فريدة)، نهض (إبراهيم) لاستقبالها.. فأشارت ألا يفعل.

ران الصمت لثوانٍ.. قبل أن يقول (إبراهيم):

- « الأستاذ (نشأت) مُعالج روحانى.. »

نظرت له فى فتور:

- « لن أتحمل هذا مرة أخرى يا (إبراهيم)! »

- « أعدك أن تكون الأخيرة! »

أغمضت عيناها باستهلاك:

- « اسمعنى.. أنا أصدق نيتك فى المساعدة، لكن كل ما تسعى له وهم لا يوجد سوى فى خيالك فقط، (سلمى) ابنتى الوحيدة ماتت.. و(عاصم) سيلحق بها قريبًا.. »

احترم (إبراهيم) دموعها التي سالت دون انفعال.. ثم قال بحسم:

- « (عاصم) يحاول الاتصال ب- (أسماء)! »

توقفت عن البكاء.. وضاقت عيناها:

- « ممرضة العناية؟ »

- « نعم.. »

- « كيف عرفت؟ »

- « هى أخبرتنى.. »

حصل على اهتمامها.. فشردت تفكر:

- « لماذا الآن؟.. وبعد كل تلك المدة؟.. ولماذا هى بالذات؟ »

هز (إبراهيم) كتفه بحيرة:

- « ربما وجد فيها شيئًا مختلفًا يستطيع العبور من خلاله! »

- « لقد قلت هذا الكلام من قبل عن (مروة)! »

- « الظروف تختلف دائمًا.. »

تدخل (نشأت):

- « أيضًا كل حالة تتطلب إرادة نفسية معينة.. وربما ما لم يتوفر مع (مروة)، قد يتوفر مع (أسماء)، المهم أن هناك فرصة قائمة علينا استغلالها.. »

نظرت لهما فى تردد صامت.. قبل أن يضيف (إبراهيم):

- « لابد أن نحاول.. ما الذي سنخسره؟ »

(فريدة) باستهلاك:

- « أعصابى!.. والتعلق بفكرة الأمل.. »

(نشأت) بعمق:

- « كل شىء مُكلف فى تلك الحياة يا سيدتى! »

تنهدت (فريدة) بعد لحظة صمت:

- « معك حق!.. ما المطلوب؟ »

- « عدم تكرار أخطاء الماضى! »

- « كيف؟ »

- « سأخبرك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كافيتريا مستشفى (دار الشرق)، انزوت (أسماء) بأحد الأركان تبكى، الغريب أن أحدًا لم يقترب ليسأل.. ماذا بك؟.. عَمق ذلك بداخلها الإحساس بالألم، لكن رويدًا بدأ البكاء فى الانحسار حتى توقف فجأة!.. مسحت دموعها.. ثم نهضت تقترب من حافة سور الكافيتريا!.. التي كانت بالدور العاشر.

راود البعض فكرة أنها قد تُقدم على الانتحار!.. لكنها توقفت تتأمل القاهرة بغرابة شديدة، المبانى.. الشوارع.. الناس..!

- « أنت هنا!.. وأنا أبحث عنك فى المستشفى كلها.. »

استدارت (أسماء) تبتسم بطريقة غريبة!.. تأملتها (علا) وهى تستطرد:

- « كُنتِ تبكين؟ »

أشاحت (أسماء) بوجهها دون إجابة.. فوضعت (علا) يدها على كتفها تضيف:

- « لقد عرفت بما حدث لك من سكرتيرة المدير.. »

واقتربت تهمس فى مواساة:

- « هذا سلوكهم دائمًا، إنهم قذرون.. »

- « لم يعد ذلك مهمًّا، لقد كرهت المكان أصلًا ولن أعود إليه ثانية.. »

- « ألف مستشفى أخرى تتمنى ضمك لها.. »

وتلفتت حولها كى تتأكد من أن أحدًا لا يسمعها:

- « سألحق بك قريبًا، أنا فقط أنتظر حتى أول الشهر.. »

- « بعد إذنك.. »

- « إلى أين؟ »

- « المنزل.. أحتاج إلى الراحة.. »

- « هل تحبين أن أرافقك؟ »

اكتفت (أسماء) بالتلويح.. ثم انصرفت تحمل صلابة مفاجأة!.. وترسل التحية لكل من يقابلها، تحولت لنموذج المرأة المُحطمة.. التي عندما تتعرض لما يفوق تحملها تتغير تضاريسها النفسية نحو الأسوأ والأقوى!.. كى تظل حية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أغلق (طارق) الهاتف مع (وليد) بعدما أخبره بآخر مستجدات حالة (عاصم)، شرد وأخذ يفكر بصوت عالٍ.. لماذا يفعلون هذا؟.. لكن فجأة دوى ذلك الصوت المُفزع بجوار أذنه:

- « هل تُحدث نفسك؟ »

انتفض (طارق) ينظر ل- (عثمان) بغيظ.. والذي أضاف:

- « عليه العوض فى عقلك يا دكتور! »

صرخ (طارق) فى وجهه:

- « فيه إيه يا عم (عثمان)؟.. وكيف دخلت إلى هنا؟.. يبدو أنك فقدت عقلك.. »

- « أنا الذي فَقدتُ عقلى؟ »

أخذ (طارق) يضغط على زر الاستدعاء بغضب.. وعندما لم يتلق ردًّا صرخ:

- « أين السكرتيرة اللعينة؟ »

تركه (عثمان) يُفرغ غضبه ثم قال باستمتاع:

- « اليوم إجازتها.. »

حاول (طارق) الهدوء:

- « ماذا تريد؟ »

مط (عثمان) شفتيه فى براءة:

- « لا شىء!.. هُم الذين يريدون؟ »

- « مَنْ؟ »

أتاه صوت من عند الباب:

- « نحن يا دكتور.. »

انسحب (عثمان) بينما نهض (طارق) يستقبل زواره، كانت (فريدة) بصحبة (إبراهيم) و(نشأت)..

- « تفضلى يا فندم.. »

صافحته..

- « هل تذكرنى؟ »

- « طبعًا.. (فريدة) هانم.. »

تجاوزوا مرحلة الترحيب..

- « كيف أستطيع أن أخدمك؟ »

لحظة صمت..

- « أريدك أن تكون المسئول عن إكمال علاج زوجى.. »

ابتسم (طارق):

- « للأسف لم أعد أعمل فى (دار الشرق)، أيضا أنا لست طبيب عناية مركزة.. »

نظرت ل- (إبراهيم) الذي أضاف:

- « الهانم تريد نقله إلى هنا.. »

لم يتطرق (طارق) لفكرة وجود (إبراهيم) أو حتى رفيقه، بدا هذا لا يعنيه..

- « لماذا؟.. مستشفى (دار الشرق) إمكانياتها ممتازة.. »

عادت (فريدة):

- « لم أعد آمن عليه هناك.. »

هز (طارق) رأسه وهو يفكر:

- « مفهوم.. لكن لماذا أنا بالذات؟ »

- « لأنك أنقذت حياته آخر مرة.. »

(طارق) فى إحراج:

- « فى الحقيقة أنا لم أفعل!.. د (وليد) هو من قام بذلك.. »

- « يبدو أنك ترفض الفكرة.. »

- « لا أبدًا.. إنه ليس اختيارى، المركز فعلًا غير مؤهل لاستقبال حالات مثل حالة (عاصم) بك.. »

(فريدة):

- « سأقوم بشراء أى أجهزة تطلبها.. »

رفع (طارق) حاجبيه.. وتأمل وجوههم بدهشة تختلط بالريبة:

- « عرض مغرى، لكنى ما زلت لا أفهم لماذا؟ »

نظر (إبراهيم) إلى عين (فريدة) التي قالت:

- « سأخبرك بكل شىء يا دكتور.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا التلذذ والاستمتاع واضحًا على وجه صاحبة مصحة (الأمل) النفسية.. وهى توبخ تلك العاملة البائسة لديها:

- « مستوى النظافة سيئ جدًّا، هذا الأداء لا يصلح عندى.. »

- « آسفة يا فندم.. »

لم تكن المديرة الشمطاء تريد الاكتفاء لولا دخول سكرتيرتها الخاصة..

- « فيه إيه يا (سناء)؟ »

تأملت الأخيرة العاملة الأكثر منها جمالًا فى شماتة واضحة، قبل أن تعطى المديرة ورقة صغيرة.. تردد:

- « تريد مقابلتك.. »

قرأت المديرة الاسم المدون فى الورقة ثم خلعت النظارة:

- « مَنْ هذه؟.. وماذا تريد؟ »

- « لا أعرف! »

ألقت الورقة فوق المكتب:

- « دعيها تدخل.. »

وأشارت للعاملة المسكينة بالانصراف، دلفت (أسماء) تقدم نفسها باختصار، قبل أن تقاطعها المديرة بحدة:

- « إن كنتِ تبحثين عن عمل لا يوجد، لكن تستطيعين ترك سيرتك الذاتية و .... »

قاطعتها (أسماء):

- « أنا لا أبحث عن عمل.. »

عادت (أسماء) تحصل على اهتمامها وهى تستطرد:

- « أريد زيارة (مروة حافظ)! »

ضاقت عينا المديرة:

- « (مروة حافظ)؟.. لماذا؟ »

- « أمر يخصنى.. »

- « طلبك مرفوض.. »

- « لماذا؟ »

اعتدلت المديرة:

- « أولًا: غير مسموح بزيارة نزلاء المصحة سوى بنظام معين يخص العلاج، ثانيًا: ليس لك أى صفة قرابة بالحالة، ثالثًا: (مروة) بالذات لن يُجدى معها أى حديث لأنها فى حالة توحد.. ولم تنطق بكلمة واحدة منذ وصولها.. »

بدت المعاناة على وجه (أسماء):

- « دعينى أحاول أرجوك.. ربما أنجح فى استنطاقها.. »

المديرة فى سخرية:

- « هل كل ما قلته غير مقنع لتلك الدرجة؟ »

- « أرجوك.. »

طبعًا فى الظروف العادية كان يستحيل أن توافق تلك الشمطاء على أمر كهذا، لأن التعطيل جزء من تركيبتها، لكن شيئًا ما فى لهجة وإصرار (أسماء) أثار فضولها، كانت تريد أن تعرف ما الذي تحمله تلك الفتاة..

- « حسنًا.. سألبى رغبتك.. لكن لعشر دقائق فقط.. »

- « وأنا لا أريد أكثر من هذا.. »

ضغطت المديرة على زر استدعاء، دلفت (سناء)، همست فى أذنها، بعدها اعتدلت الأخيرة تقول:

- « تفضلى يا حبيبتى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

9 - العائد..

مطار (القاهرة) طائرة (لندن)، وقف ذلك الثور البشرى المتأنق فى صالة كبار الزوار ينتظر قدوم سيده، يظهر (نبيل) بوجهه الجامد ونظارته السوداء التي لا تفارقه حتى فى الأماكن المغلقة، يلتقط الثور منه حقيبة صغيرة ويردد:

- « حمد لله على السلامة يا سيدى.. »

يُكمل الرجل طريقه للخارج دون رد التحية!.. ويدلف لسيارة دفع رباعى حديثة سوداء تنتظره، يركب الثور بجوار السائق.. ثم يسأل:

- « الفيلا يا فندم؟ »

غاب الرد.. والجميع يحترم صمته حتى أجاب:

- « الهيلتون.. »

تحركت السيارة و(نبيل) يتأمل كل شىء فى توتر، مازال يذكر تلك اللحظات القاسية التي غادر فيها (مصر) منذ عام، كان هاربًا من الديون بعدما أضاع ذلك القرض على نزواته، عندئذ لجأ لشقيقه (عاصم) الذي طالما كان يقف بجواره..

ذهب إليه مُنهارًا يطلب ضمانه أو على الأقل سد الأقساط الحالية لحين جدولة القرض من جديد.

لكن (عاصم) لأول مرة فى حياته رفض مساعدته، يبدو أنه قد مَل أخيرًا من لعب دور المُنقذ الذي طالما كان يمارسه معه منذ الصغر، انهار (نبيل) و .....

توقفت السيارة فجأة..

- « فيه إيه؟ »

أجاب الحارس:

- « لجنة يا سيدى.. »

عاد (نبيل) ل- (مصر) بعدما استطاع سد القرض، لكنه لم يعد كما كان، هناك شىء ما بداخله تغير!.. أفقده الإحساس بالأمان والقدرة على النوم.

حتى نزواته التي كان يهرب إليها وتجعل حياته مُحتملة!.. هجرها، لم تعد تُثير بداخله أى نشوة.. فصار ذلك الصامت الكئيب إلى الأبد.

- « كيف حال (عاصم)؟ »

الحارس:

- « كما هو يا سيدى.. »

- « هل كانت تصله الورود؟ »

- « كل يوم كما أمرت سيادتك دون توقف.. »

شرد (نبيل) للحظة ثم أضاف:

- « أريد زيارته.. »

- « الآن يا سيدى؟ »

- « نعم.. »

عدلت السيارة اتجاهها على الفور، كى يرى (نبيل) أخاه الوحيد، الذي لم يره مرة واحدة منذ إصابته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تشعر (أسماء) بالخوف من نزلاء المصحة عكس ما كان سيحدث لو أتت قبل أيام مضت!.. يبدو أن ما تشعر به الآن من ارتباك تخطى تلك الرفاهيات!

سارت (سناء) بجوارها تُثرثر، كانت غير مُريحة، من تلك النوعية التي تشعر معها بالنفور من أول احتكاك!.. لما تحمله من طاقة سلبية تطل من عينيها.

لم تُنصت (أسماء) لحرف مما قالته حتى وصلت للغرفة.. ابتسامة مُفتعلة باردة:

- « شكرًا.. »

لكن فجأة استوقفتها (سناء) تقول فى رعب يحمل التلذذ:

- « كونى على حذر!.. فقد تهجم فى أى وقت.. »

لم يبدُ على (أسماء) التأثر.. مما أصاب (سناء) بالغيظ:

- « اطمئنى.. سأتحدث عن بعد.. »

- « هذا أفضل.. »

ودلفت للغرفة ببطء وحذر تتأمل معالمها، كانت بسيطة.. منظمة.. خالية.. وتليق بأى مريض نفسى من حيث درجة الأمان، جلست (مروة) بجوار الشرفة تنظر للحديقة بشرود!.. فى صورة كلاسيكية لا تتغير.. فتلك هى القواعد التي لابد من احترامها!

أغلقت الباب فى وجه (سناء)، التي كانت ما تزال تقف باستفزاز.. والتقطت كرسيًّا صغيرًا تضعه بجوار (مروة).

جلست تتأمل الحديقة معها دون كلمة.. وعندما طال الصمت!.. قالت مديرة المصحة فى دهشة وهى تنظر لما يحدث عبر كاميرا مراقبة:

- « مجنونة أخرى! »

انضمت لها (سناء) لاهثة تردد:

- « ما الذي حدث؟ »

ابتعدت المديرة تقول:

- « يبدو أننا سنحصل على مريضة جديدة قريبًا! »

ضاقت عينا (سناء) وهى تتأملهما.. ثم قالت بحدة:

- « سيدتى!.. انظرى؟ »

عادت المديرة مُسرعة تقول بسخرية:

- « إيه!.. قتلتها؟ »

كانت (مروة) التي لم تنطق حرفًا منذ شهور تلتفت ل- (أسماء) وتهمس:

- « كُنت أنتظرك! »

ضاقت عينا الأخيرة:

- « كيف ولم نلتق من قبل؟ »

عادت (مروة) تنظر للحديقة:

- « هو أخبرنى.. »

- « عاصم؟ »

- « نعم.. »

- « هل مازال يتصل بك؟ »

تنهدت (مروة):

- « أحيانًا!.. لكن عقلى يرفضه دائمًا.. »

(أسماء) بحيرة وصلت للتوسل:

- « أرجـوك.. أنا هنـا كـى أحصـل عـلى أى إجـابة!.. فـلا تُزيدى الأمور تعقيدًا.. »

لم يبدُ على (مروة) أنها سمعت العبارة..

- « ما الذي يريده (عاصم)؟ »

هزت (مروة) رأسها بشرود:

- « لا أعرف، لم أصل معه لتلك المرحلة، كُنت دائمًا أضعف مما يريده!.. لذلك أصابنى الانهيار العصبى.. »

تنهدت (أسماء) وعادت بظهرها للخلف فى يأس.. و(مروة) تستطرد:

- « قد تكونين أقوى.. وتصلين لما فشلت فيه.. »

- « أنا؟ »

- « نعم.. من يدرى؟ »

نهضت (أسماء) تتحسس وجهها بحنان:

- « أنت مخدوعة فى شخصيتى.. فالفارق الوحيد بينى وبينك أننى لم أنهر بعد! »

(مروة) بضعف:

- « الانسحاب ليس اختيارًا.. »

التقت أعينهما فى صمت.. و(أسماء) تهز رأسها بمعاناة:

- « أعرف.. »

ثم انصرفت.. هنا أسرعت (سناء) تقول:

- « هل سنتركها ترحل؟ »

المديرة بصرامة:

- « نعم.. »

شعرت (سناء) بالغيظ وهى تخرج وتُغلق الباب خلفها، أسرعت المديرة تلتقط الهاتف، فتح الطرف الآخر الخط مباشرة:

- « فيه جديد؟ »

- « نعم.. لكن هذا سيكون له سعر خاص.. »

قال مدير مستشفى (دار الشرق) بعصبية:

- « تكلمى.. »

ابتسمت فى انتصار.. وأخذت تخبره بتطور الأحداث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حملت ملامح (نبيل) تفاصيل إنسانية كثيرة عندما وقف أمام أخيه (عاصم)، تفاصيل لا تستطيع حسمها أو مجرد استنتاج ما تميل إليه، هل هى عذاب.. خوف.. حب.. احترام.. لهفة..!

العادى أن تدمع عينا (نبيل) على الأقل فى موقف كهذا، لكن ما بداخله كان أكبر من تلك الرفاهية، كان فى منطقة تفوق الشعور بالألم.. فأحيانًا من كثرة التعب قد لا تستطيع النوم.

كل ما فعله أنه اقترب.. ثم قَبَّلهُ بعنف فى وجهه مثلما فعل (مايكل كيرليونى) بأخيه (فريدو) قبل قتله..!

بعدها جلس يتحسس يده:

- « سامحنى!.. سامحنى على كل شىء؟.. فأنا لم أكن أتصور أن تتطور الأمور لتلك الدرجة! »

أتاه فجأة صوت جاف من خلفه يقول:

- « من أجل هذا هربت؟ »

لم يبدُ على (نبيل) المفاجأة:

- « لو كنت مكانى لفعلت! »

مط مدير مستشفى (دار الشرق) شفتيه بعدم اقتناع:

- « ربما.. »

ثم اقترب يصافحه وهو يستطرد:

- « لماذا لم تُخبرنى بموعد وصولك؟ »

صافحه (نبيل) ببرود:

- « متى ستنفذ؟ »

ابتسم المدير بسخرية:

- « بسرعة هكذا؟.. أنت حقًّا لا تُضيع وقتًا.. »

حملت نظرات (نبيل) الغضب.. فحك المدير ذقنه يردف:

- « الليلة لو أردت.. »

- « أذكر أننى سمعت منك هذا الكلام من قبل! »

- « حدثت بعض المفاجآت؟.. أعد بعدم تكرارها.. »

ثم اقترب المدير منه يضيف بتودد:

- « لكن قبل ذلك لدى سؤال؟ »

اكتفى (نبيل) بالنظر إليه..

- « لماذا الآن؟ »

- « لماذا الآن ماذا؟ »

المدير بوقاحة غريبة:

- « تريد قتل أخيك؟.. رغم أنك طيلة عام كامل كُنت تتابعه باهتمام، بل وأحيانًا كُنت تُشدد على رعايته! »

فزع (نبيل):

- « ما هذا التخريف؟.. كيف تقول كلامًا مثل هذا؟ »

ثم ازدرد لعابه.. يضيف بانفعال مدروس:

- « إننى أرحمه من العذاب، هذا يحدث فى كل الدول المحترمة، (عاصم) فى حكم الميت، غيبوبته طالت.. وهناك أشياء كثيرة تتعطل بمصانعه.. وحياة أُناس كثيرة معلقة فى رقبته.. »

صفق المدير بشكل مستفز قائلًا:

- « برافو.. لكنك نسيت ذِكر أهم سبب.. وهو أن وفاته ستغير حياتك أنت أيضًا! »

- « أنا؟ »

- « نعم!.. سمعت أنك سوف ترث غالبية ثروته، خاصة بعد اختفاء ابنته الوحيدة (سلمى)؟ »

أشاح (نبيل) بوجهه:

- « مَنْ قال هذا؟ »

حاصره المدير:

- « لا تحاول خداعى، أنت عَرفت بأمر الوصية التي تركها!.. وهذا جعلك تُفكر بالعودة كى تُنهى معاناة أخيك.. أليس كذلك؟ »

صمت (نبيل) لحظة، نظر خلالها لعينى المدير.. ثم سأل بحسم:

- « ماذا تريد بالضبط؟ »

- « مليون جنيه.. »

(نبيل) بابتسامة عصبية:

- « مجنون.. »

- « أنت سترث أكثر من عشرين مليونًا.. ألا أستحق خمسة فى المائة؟ »

أخذ (نبيل) نفسًا عميقًا.. وذهب نحو الشرفة ينظر لسماء (القاهرة) وهو يفكر، طال الصمت:

- « ماذا قُلت؟ »

- « أوافـق.. لكنـك لـن تأخـذ مليمًـا إلا بعـد استـلام حصتى كامـلة من الثروة.. »

المدير بجشع:

- « اتفقنا.. أتركك لوداعه.. »

انتفض (نبيل) بعد سماع العبارة.. فهو إلى الآن لا يصدق أنه سيفعل ذلك!.. استدار بعذاب يتأمل (عاصم).. فشعر أنه يسمعه!.. شعر أيضًا أنه باستسلامه وعلامات الارتياح المُرتسمة فوق وجهه الشاحب أقوى منه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قامت الدادة بتنظيف غرفة (سلمى) مثلما تفعل كل أسبوع.. وقبل المُغادرة تأكدت أن آخر لمسات (سلمى) لأشيائها مازالت كما هى، العروسة الصغيرة ما زالت فوق الوسادة.. الحذاء.. الملابس.. الألوان.. القصص المصورة.. حتى زجاجة العطر لم تقم بتغطيتها حتى فرغت لأن (سلمى) تركتها هكذا.

كل تلك التفاصيل دلت على مدى المأساة التي تُغلف المكان منذ اختفائها.. ومدى تعلقهم بها، غادرت الدادة الغرفة.. فوجدت (فريدة) عائدة من الخارج..

- « حمدًا لله على السلامة يا سيدتى.. »

- « الله يسلمك.. »

رافقتها حتى الغرفة وساعدتها فى تغيير ملابسها..

- « لماذا تأخرت اليوم؟ »

- « كان لابد من إتمام شىء ما.. »

ناولتها الروب..

- « إيه أخبار سيدى (عاصم)؟ »

كانت تعرف أن مجرد ذكر الاسم يُسبب الضيق، لكنها لا تملك رفاهية عدم السؤال:

- « حالته تزداد سوءًا، يبدو أننا سنشهد النهاية قريبًا! »

ودمعت عيناها. فاضت عينا الدادة هى الأخرى بالدموع:

- « لا تقولى هذا يا سيدتى.. اتركى الأمر لله.. »

تمالكت (فريدة) انفعالها:

- « ونعم بالله.. أستغفر الله العظيم.. »

مَسحت الدادة دمعة بللت وجهها الطيب.. ثم قالت:

- « هل أجهز الحمام؟ »

- « لا.. سأنام مباشرة.. »

اكتفت الدادة وكادت أن تغادر، لكنها فجأة تذكرت شيئًا:

- « آه.. لقد عاد الأستاذ (نبيل) أخو (عاصم بك) الصغير من السفر.. »

ضاقت عينا (فريدة) عائدة لكامل تركيزها:

- « كيف عرفتِ؟ »

- « اتصل قبل ساعتين وسأل عن حضرتك.. »

- « هل قال شيئًا؟ »

- « لا.. لكنه سيتصل مرة أخرى.. »

انصرفت الدادة.. والتقطت (فريدة) الهاتف تتصل بمحامى الشركة:

- « أهلًا (فريدة هانم).. »

دون مقدمات قالت:

- « هل عرف (نبيل) بأمر الوصية؟ »

لم ينكر الرجل:

- « كان لابد من هذا، خاصة أنه طرف بها.. »

أضافت بانفعال:

- « (عاصم) لم يمت بعد.. »

- « يا (فريدة هانم) الأعمار بيد الله.. لكن ..... »

لم تعطه فرصة لإتمام عبارته، أغلقت الخط وأخذت تسير بالغرفة بعصبية وهى تفكر.. ثم التقطت الهاتف من جديد:

- « ألو؟.. إلى أين وصلتم يا (إبراهيم)؟ »

- « قاربنا على الانتهاء.. وسننقل (عاصم) بك غدًا كما اتفقنا.. »

(فريدة) بحسم:

- « الليلة يا (إبراهيم)، لابد أن يتم ذلك الليلة.. »

الأخير فى توجس:

- « ما الذي حدث؟ »

- « سأشرح لك فيما بعد، المهم الآن أن يتم نقل (عاصم) الليلة، هل تستطيع؟ »

فكر (إبراهيم) ثوانى ثم أضاف:

- « حاضر.. سأخبر د (طارق) فورًا ونتحرك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

10 - اختطاف..

بداية الليل، اقتربت سيارة إسعاف مُجهزة من مستشفى (دار الشرق)، انعطف بها (عبد السلام) الذي كان يلعب دور السائق بحماس، مُحاولًا نيل رضا (طارق) الجالس بجواره، كى ينسى أفعاله الحمقاء:

- « من هنا يا دكتور؟ »

- « نعم.. »

سارت السيارة عدة أمتار أخرى قبل أن تتوقف على مقربة من الباب الخلفى للمستشفى، أطفأ (عبد السلام) الموتور وانتظر التعليمات، هبط (طارق) وبعده (إبراهيم) و(عمران) والممرض (حمادة)، فى حين بقى (حامد) مهندس الشبكات صديق (طارق) الذي أحضره معه لهدف ما فى السيارة.

- « ستنتظرون هنا حتى آمركم بالتحرك.. »

(إبراهيم) فى جمود:

- « ماذا ستفعل؟ »

- « سأحـاول أولًا إخراجـه بشكـل رسمـى.. وإذا فشـلت سننفـذ ما اتفقنا عليه.. »

تدخل (عبد السلام) بحماس رجل العصابات:

- « كلنا معك يا مدير.. »

- « اخرس.. »

وضع (عبد السلام) يده على فمه بينما (طارق) يستطرد بحزم:

- « لو فعل أى واحد منكم شيئًا خارج حدود دوره لن أضمن النتائج.. »

هز (عمران) رأسه:

- « اطمئن يا ريس.. »

شعر (طارق) بالغيظ من الألفاظ التي يتم استخدامها!.. فى النهاية اتجه للمستشفى، مط (عبد السلام) شفتيه يقول:

- « لو فقط يتركنى أضع ال- (touch) بِتَاعى.. كُنت سأخرجه من الباب الرئيسى أمام الجميع.. »

نظر له الجميع فى بلاهة صامتة.. فأضاف باعتراض:

- « ستعرفون قيمتى يومًا ما.. »

ضحك (عمران) وهو يتأمل مبنى المستشفى الشاهق:

- « المال هنا ليس له عدد! »

(عبد السلام) فى تحسر:

- « خمس نجوم.. هؤلاء هم مَنْ يسرقون البلد! »

تدخل (إبراهيم) بحزم:

- « تجاوزتم الحدود! »

لوح (عبد السلام) بيده فى غضب مُفتعل:

- « فيه إيه؟.. اسمع.. أنا منذ لحظة رؤيتك وهناك شىء ما خطأ بينى وبينك!.. ولولا د. (طارق) لكان لى معك تصرف آخر.. »

جذبه (إبراهيم) من ياقة قميصه.. فبدا فى يده كالفأر:

- « ماذا كُنت ستفعل؟ »

تدخل (عمران):

- « لاااا.. ليس هذا وقته! »

وضع (عبد السلام) يده فوق مقر المُطواة المقدس.. يقول بحماس:

- « اتركنى يا (عمران).. »

- « قُلت خلاص.. »

تراجع (عبد السلام) بسرعة كوميدية:

- « من أجلك فقط!.. لكن والله لو أحد آخر كُنت شرّحته.. »

اقترب منه (إبراهيم) فى صمت تحفزى حتى التصق بوجهه:

- « جبان.. »

انتفض (عبد السلام) أمام ذلك التصعيد، فعاد (عمران) يحتضنه:

- « اصمت.. »

تجمد الموقف.. ونظر لهما (إبراهيم) بعدم رضا ثم لحق ب- (طارق) إلى المستشفى، انتظر (عبد السلام) حتى ابتعد مسافة كافية ثم قال:

- « حانوتى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف (طارق) لمكتب مدير المستشفى يردد دون مقدمات:

- « الحمد لله أن سيادتك هنا.. »

ابتسامة مُفتعلة زائفة من المدير:

- « أهلًا د. (طارق).. يبدو أنك فَكرت فى العرض الذي عرضته عليك.. »

صافحه (طارق) وجلس يضع ساقًا فوق أخرى دون أدنى لياقة..

- « فى الحقيقة.. لا! »

اختفت ابتسامة المدير..

- « أنا هنا لغرض آخر، سأرافق حالة أثناء النقل! »

- « أى حالة؟ »

- « (عاصم بك).. »

ضاقت عينا المدير فى ريبة:

- « غريبة!.. لم يصلنى أى شىء يخص ذلك.. »

- « معك حق.. (فريدة) هانم لم تأخذ القرار سوى منذ دقائق.. »

وأخرج (طارق) ورقة من جيبه عليها توقيعها:

- « هذا تفويض بالأمر.. »

التقط المدير الورقة:

- « ليس كافيًا.. ف- (عاصم بك) حالة خاصة جدًّا.. ونقله لن يكون بتلك البساطة.. »

(طارق) بتحد:

- « كل المطلوب هو تسليم الحالة فقط.. »

- « لابد من تواجد المسئول عن الحالة بشخصه أثناء النقل.. »

- « لماذا؟ »

المدير ببرود:

- « هناك أوراق وحسابات لابد أن تُغلق.. وللأسف هذا لن يمكن حدوثه الليلة، الوقت تأخر وكل موظفى المستشفى انصرفوا.. »

نهض (طارق) يُصافحه ببساطة:

- « حسنًا.. يبدو أنه لا مفر من التأجيل للصباح.. »

المدير بنفس الابتسامة السخيفة:

- « آسف.. كُنت أود مساعدتك.. »

هز (طارق) رأسه بلا معنى.. ثم غادره. تابعه المدير عبر الكاميرات حتى اختفى، بعدها التقط الهاتف بتوتر يتصل ب- (نبيل):

- « (فريدة) طلبت نقل (عاصم) من المستشفى.. »

- « متى؟ »

- « الآن.. واستطعت تأجيل الأمر للصباح.. »

فكر (نبيل) بصوت عالٍ:

- « هذا مُريب! »

المدير:

- « يبدو أنها شعرت بشىء؟.. ومن الحكمة أن نؤجل قليلًا ما كُنا ننوى فعله.. »

(نبيل) بانفعال:

- « مستحيل.. »

- لماذا؟ »

- « لأنها قد تكون فرصتنا الأخيرة.. »

المدير مُحاولًا إقناعه:

- « لو توفى (عاصم) الليلة سيشكون! »

- « لن يستطيعوا إثبات شىء.. »

لحظة تفكير من المدير.. قبل أن يحسم أمره:

- « معك حق.. »

ثم أغلق الخط.. ورفع سماعة الهاتف الداخلى:

- « أريد (عبد الغنى) مدير الصيانة.. »

- « حاضر يا فندم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « لا أشعر بالارتياح! »

كانت تلك عبارة (طارق) وهو يجلس بكافيتريا الدور الثانى للمستشفى:

- « أنا جاهز.. »

- « سننفذ كل ما اتفقنا عليه.. انتظر الإشارة.. »

- « حاضر.. »

ثم أنهى (إبراهيم) المكالمة، بينما يضع صبى الكافيه أمام (طارق) قهوة سريعة:

- « شرفتنا يا دكتور.. »

- « أشكرك.. »

انسحب الفتى بهدوء.. و(طارق) يبعث برسالة نصية ل- (حامد) كى يتحرك..

تلقى الأخير الرسالة قائلًا:

- « يبدو أن الأمور قد اشتعلت.. »

سأل (عمران):

- « إيه الأخبار؟ »

هبط (حامد) من السيارة يغمز بعينيه:

- « سننفذ الخطة.. »

(عبد السلام) بلهفة:

- « عظيم.. الآن سترون قدراتى.. »

ربت (حامد) على كتف الأخير يُداعبه:

- « أشعر أنك ستكون أول مَنْ سَيجرى لو حدث شىء.. »

ضحك (عمران) و (حمادة).. بينما اتجه (حامد) لباب المستشفى الرئيسى يفتعل الألم وهو يسأل أول من يقابله:

- « أين قسم الطوارئ لو سمحت؟ »

- « من هنا.. »

بدا بقبعته الرياضية شخصية بسيطة، غير مُلفتة للنظر، دلف للمكان.. ومر بجوار (طارق) دون أن يبدو عليه معرفته، بعدها اتجه مباشرة نحو المصعد ووقف ينتظر، أتته رسالة نصية تقول:

- « باب البدروم على يمينك.. »

بقى حتى شعر بخلو الردهة ثم تحرك، كان (إبراهيم) ينتظره، قاده حتى مكان يزدحم بالأجهزة والكابلات..

- « هذه هى اللوحة المركزية للمستشفى.. »

فتحها (حامد) مباشرة.. وبدأ العبث..

- « الكاميرات هنا غير مباشرة.. »

- « يعنى إيه؟ »

أخرج (حامد) أداة صغيرة من جيبه:

- « يعنى ربنا يسترا! »

ثم قص أحد الوصلات كما يفعل خبراء المتفجرات..

- « ماذا فعلت؟ »

- « المفروض الآن أن تتعطل كل كاميرات الدور الثانى.. »

(إبراهيم) بعصبية:

- « المفروض!.. أنت غير واثق من النتيجة؟ »

أغلق (حامد) اللوحة بلا مبالاة مستفزة:

- « هذا ما لدى.. »

أزاحه (إبراهيم) بعصبية.. ثم اندفع نحو المدخل يفحص إحدى الكاميرات بحذر..

- « لقد تعطلت.. »

بعدها أرسل رسالة ل- (طارق) يؤكد الأمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دلف (عبد الغنى) مدير الصيانة لغرفة المدير يردد:

- « تحت أمرك يا دكتور.. »

- « أريدك أن تُغلق الأكسجين عن القطاع (ب).. »

- « لماذا؟ »

بدا السؤال منطقيًّا، لكن المدير كان مُستعدًّا له، التف حول المكتب يضيف:

- « أمس حدثت مشكلة فى غرفة العناية رقم (٩)، كادت أن تودى بحياة مريض.. »

- « أعرفها.. غرفة (عاصم بك).. »

- « بالضبط.. »

دافع الرجل عن عمله:

- « لكن الأكسجين لم يكن له علاقة بالأمر! »

- « أعرف.. فقط نريد التأكد من ذلك.. »

ثم وضع يده على كتف (عبد الغنى) مُستطردًا:

- « سنقوم باختبار المصدر.. »

لم يستوعب عقل (عبد الغنى) تلك التفاصيل، هرش ذقنه وهو يقول:

- « أمرك يا دكتور.. متى تريد هذا؟ »

- « الساعة العاشرة بالضبط.. ولمدة ربع ساعة.. »

نظر العامل فى ساعته..

- « يعنى كمان عشر دقائق، حاضر يا فندم.. هل هناك شىء آخر؟ »

عقد المدير يديه خلف ظهره مُضيفًا بجدية:

- « نعم.. نحن نفعل ذلك كى لا يُقال عن المستشفى أنها لا تستطيع إدارة أجهزتها، المستشفيات سُمعة يا (عبد الغنى).. »

تسرب الحماس للرجل:

- « مفهوم سيادتك، لن يعلم أحد بالأمر، هذه لقمة عيشنا جميعًا.. »

- « عظيم.. وأنا دائمًا أقدر الرجال.. »

انصرف (عبد الغنى) فى اللحظة التي اكتشف فيها المدير عُطل الكاميرات، انزعج واندفع يصرخ عبر الهاتف:

- « أين العميد (مختار).. »

انتفضت عاملة الاتصال الداخلى ال- (operator):

- « ثوانى يا فندم.. وأصلك به..»

أتى صوت العميد البارد عبر الخط المفتوح:

- « خير يا دكتور؟ »

- « كل كاميرات الدور الثانى مفصولة.. »

العميد بدهشة:

- « غريبة!.. إنها أول مرة تحدث.. سأرى هذا بنفسى.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سحب (إبراهيم) عربة الموتى ودلف بها للعناية، انقبضت رئيسة التمريض حين رؤيته:

- « خير؟ »

- « هناك مَنْ بلغ عن حالة وفاة بالغرفة رقم (١٧).. »

ظهر فجأة أحد شباب التمريض يقول:

- « نعم.. أنا مَنْ فعل.. تفضل من هنا.. »

تحرك (إبراهيم) بغلظة.. يستوقفه:

- « لا داعى لتعبك.. أعرف الطريق.. »

قالت الرئيسة بدهشة وهى تُراجع ملفات المرضى:

- « غريبة!.. لقد تسلمت الغرفة (١٧) فارغة.. »

الممرض بثقة:

- « الحالة توفت قبل تسلم الفترة المسائية، لهذا اعتبروها فارغة! »

- « وكيف لم يتم نقلها حتى الآن؟.. إنها العاشرة! »

مط الممرض شفتيه:

- « يبدو أن (إبراهيم) لم يكن موجودًا وتم استدعاؤه.. »

وضعت رئيسة التمريض الأوراق جانبًا كأنها تذكرت شيئًا:

- « مَنْ حضرتك؟.. أنا أول مرة أراك هنا؟ »

مد يده مُصافحًا:

- « (حمادة).. زميل جديد.. وهذا أول يوم لى معكم بالعناية.. »

- « عظيم.. وأين كُنت تعمل من قبل يا (حمادة)؟ »

- « دار الطب.. »

وأخذ يعمل على توجيهها لشىء آخر لإخلاء الممر، فى اللحظة التي دلف فيها (إبراهيم) بعربة الموتى لغرفة (عاصم).. فوجد (طارق) ينتظره:

- « جاهز؟ »

- « جاهز.. »

وبسرعة قام (طارق) بفصل كل شىء عن (عاصم).. وتوصيله بجهاز تنفس يدوى، كشف (إبراهيم) عن عربة الموتى لتبدو جثة حديثة، سأل (طارق):

- « مَنْ هذا؟ »

- « سنضعه مكان (عاصم).. »

- « لم يكن هذا اتفاقنا! »

بدأ (إبراهيم) فى نقل الجثة..

- « ستلهيهم عنا قليلًا.. »

تم التبادل.. ثم تحرك (إبراهيم) دون أن يعترض طريقه أحد حتى وصل للمصعد، قابله العميد (مختار) ومعه اثنان من رجاله..

- « أهلًا (إبراهيم).. »

- « أهلًا.. »

ودلف للعناية مع رجاله، فى حين هبط (إبراهيم) للبدروم، استقبله (حامد) الذي ساعده فى دفع العربة نحو المخرج:

- « لابد من تأمين خروجنا..»

- « ماذا ستفعل؟ »

لم يتلق (إبراهيم) إجابة!.. واستمر فى دفع العربة، بينما عاد (حامد) للوحة..

- « مَنْ أنت؟.. وماذا تفعل هنا؟ »

بدر ذلك السؤال فجأة من (عبد الغنى)، ابتسم (حامد) وهو يفصل كابلًا آخر:

- « سنتعرف فى وقت لاحق.. »

انقطع التيار الكهربى عن البدروم.. و(عبد الغنى) يصيح:

- « من أنت؟.. من أنت؟ »

وعندما سمع وقع خطوات (حامد) السريعة تبتعد.. أخذ يصرخ.. استجاب له فرد أمن البوابة على الفور:

- « فيه إيه؟ »

اندفع نحوه (عبد الغنى):

- « هناك مَنْ كان يُخرب فى اللوحة! »

ارتبك فرد الأمن.. وهو يستخدم ضوء الهاتف:

- « لماذا؟ »

- « لا أعرف.. لقد فر مِنْ هنا.. »

اندفع الاثنان فى الممر لحظة وصول (إبراهيم) لعربة الإسعاف، استقبله (طارق) و(حمادة) بسرعة.. وساعداه فى نقل (عاصم) وتوصيله بأجهزة السيارة..

- « تحرك.. »

لكن (طارق) لم يجد استجابة من (عبد السلام) و(عمران) اللذين من المفروض أن يكونا خلف عجلة القيادة بانتظار الأمر، فتح الشباك الصغير بينه وبينهم.. فوجد الكابينة فارغة، صرخ بانفعال:

- « أين هؤلاء الأغبياء؟ »

أجابه (إبراهيم) ببرود:

- « هناك.. »

نظر نحو ما يُشير.. فوجدهم يشتبكون مع (عبد الغنى) و فرد الأمن، بينما يفر (حامد) هاربًا نحو السيارة، كان (عبد السلام) يُشهر المطواة..

- « مكانك.. »

تراجع (عمران) معه للخلف فى حذر، حتى ظهر (إبراهيم)، عندئذ انطلق الاثنان نحو السيارة ومعهم (حامد).. سأل فرد الأمن:

- « ما الذي يحدث يا (إبراهيم)؟ »

لم يتلق إجابة!.. وعربة الإسعاف تتحرك، تأملها (إبراهيم) حتى اختفت بنهاية الشارع.. ثم استدار ببطء يضع يده بجيب معطفه.. وينصرف هو الآخر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

11 - المواجهة..

وقف (طارق) ينظر ل- (عاصم) عبر حاجز زجاجى، قبل أن ينضم له (شلبى) يتأمل الغرفة التي لم تكن هنا أمس بانبهار:

- « ثلاثة أسرّة عناية مركزة بكامل تجهيزاتها!.. إنها ثروة!.. من أين لك هذا؟ »

- « سأخبرك فيما بعد.. »

خرج (وليد) من العناية يتثاءب، والذي استقدمه (طارق) للعمل على حالة (عاصم):

- « كيف تسير الأمور؟ »

نظر (وليد) ل- (عاصم) بحيرة:

- « نحو مزيد من الغموض!.. فمنذ ستة أشهر وتلك الحالة تتطور نحو الأسوأ، كان كل دورى حينها، أن أجعل ذلك بطيئًا قدر المستطاع، الآن فجأة كل الأرقام تتحسن دون مبرر! »

تدخل (شلبى) بسخرية:

- « وهل هذا يُغضبك؟ »

- « لا طبعًا، فقط يحيرنى!.. لأنه يتنافى مع كل ما تعلمته! »

(طارق):

- « لعله سيفيق؟ »

أضاف (شلبى) بطريقته الكوميدية:

- « أو سيموت! »

ابتسم (طارق).. وقام بتقديمه ل- (وليد):

- « د. (شلبى).. دكتوراه فى الشخصية الهستيرية.. »

صافحه (وليد) باهتمام:

- « إنه تخصص نادر! »

أضاف (طارق) ضاحكًا:

- « هو فعلًا نادر!.. تقريبًا هو الوحيد فى المنطقة الذي يعمل فى الهستيرية تلك! »

انتظر (وليد) حتى انتهى الضحك.. ثم عاد يسأل باهتمام:

- « لماذا قلت إن الحالة قد تموت؟ »

(شلبى):

- « لأن كل حالات الغيبوبة الطويلة تشترك فى هذا السلوك!.. خلايا الجسد عندما تشعر بقرب نهايتها، تستنفر كل قواها للعودة كنوع من المقاومة الأخيرة!.. ثم فجأة تنهار! »

شرد (وليد) يفكر:

- « تقصد صحوة ما قبل الموت؟ »

- « بالضبط.. »

- « يبدو تبريرًا معقولًا.. »

واستمر الحديث بينهم لبعض الوقت.. حتى عاد (طارق) يقول:

- « هذا الاتفاق المبكر بينكم لا يُبشر بخير! »

(وليد):

- « لماذا؟ »

- « لأن المركز لن يحتمل المزيد من المجانين! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى خطوة حتمية، رافق (إبراهيم) (فريدة) لمستشفى (دار الشرق)، شعرت السكرتيرة بالتوتر حين رأتها!.. نهضت تقول:

- « المدير عنده ضيف.. وأمر بعدم الإزعاج.. »

(فريدة) بسخرية:

- « غريبة!.. أول مرة أسمع تلك الجملة!.. كُنت دائمًا أدخل مباشرة! »

السكرتيرة فى تحفظ:

- « آسفة يا فندم.. إنها التعليمات الجديدة.. ثوانى أعطيه خبرًا.. »

- « مفهوم.. »

أسرعت السكرتيرة تفتح جهاز الاتصال الداخلى:

- « (فريدة) هانم؟ »

غاب الرد مما ضايقها..

- « خمس دقائق ودعيها تدخل.. »

أغلقت السكرتيرة جهاز الاتصال وأضافت:

- « تفضلى حضرتك لحين أن ينتهى.. »

اكتفت (فريدة) بأخذ جانب.. وأشعلت إحدى سجائرها، اقترب (إبراهيم) يهمس:

- « سأنتظر حضرتك هنا.. »

أخذت تنفخ دخان سيجارتها بعصبية، حتى فتح المدير باب المكتب بنفسه، نظر ل- (إبراهيم) بغضب:

- « من سمح لك بالدخول إلى هنا؟.. أنت مفصول.. »

والتفت للسكرتيرة..

- « استدعى الأمن.. »

تدخلت (فريدة):

- « لا داعى لذلك، إنه معى.. »

تبادل الجميع النظرات الصامتة للحظات، قبل أن يضيف:

- « تفضلى.. »

دلفت للمكتب وجلست دون دعوة.. ثم قالت:

- « لم أرك عصبيًّا هكذا من قبل؟ »

- « ماذا تنتظرين بعد كل ما حدث أمس؟ »

- « وما الذي حدث؟.. أنا أعترف أن د. (طارق) قد تجاوز الحدود بعض الشىء، لكنه فى النهاية كان ينفذ رغبتى! »

- « هكذا ببساطة؟ »

نفخت دخان السيجارة:

- « نعم.. »

وبحثت عن الطفاية لتضع سيجارتها، فوجدت بقايا سيجارة حديثة لم تنطفئ بعد، سيجارة أوروبية من نوعية خاصة نادرة!.. لم تعرف أحدًا يدخنها يومًا سوى (نبيل) أخو زوجها..

انتابها فجأة مشاعر سيئة تكرهها!.. حاولت مقاومتها وهى تستطرد:

- « على العموم أنا آسفة.. وقد حضرت اليوم لإخلاء طرف المستشفى من أى مسئولية قانونية.. »

بعد تلك العبارة لم يجد المدير شيئًا يقوله سوى:

- « والتخريب المُتعمد الذي حدث؟ »

- « مستعدة لتحمل أى تكاليف.. »

فى تلك اللحظة كان (نبيل) يرمقهم من زاوية صغيرة بغرفة مجاورة، الغريب أن (فريدة) شعرت أن هذا يحدث.. ونظرت تبحث عنه..!

استعاد المدير بعض هدوئه.. وأخذ يُخرج بعض الأوراق:

- « كُنت أتمنى أن تكون نهاية تعاملنا أفضل من هذا.. »

- « حصل خير يا دكتور.. »

قام باستدعاء بعض الموظفين.. ووقعت بعض الأوراق والشيكات..

- « أتصور أنه هكذا قد تم ترضيتكم؟ »

تأمل المدير الشيك الذي يحمل الأصفار الخمسة:

- « أين ذهب (عاصم) بك؟ »

نهضت (فريدة) تُنهى اللقاء:

- « مكان آمن! »

وغادرت المكتب، فتح المدير جهاز الاتصال الداخلى يأمر سكرتيرته:

- « لا أريد مقابلة أحد لربع ساعة.. »

- « تمام سيادتك.. »

خرج (نبيل) من الغرفة الداخلية.. فأسرع المدير يضع الشيك فى الدرج..

- « ماذا سنفعل؟ »

- « تقصد ماذا ستفعل؟.. لقد صارت تلك مشكلتك! »

(نبيل) بحدة:

- « والمليون جنيه؟ »

- « لا يستحقون المُخاطرة! »

- « تقول هذا الآن؟ »

المدير ببرود:

- « ما تطلبه أصبح خارج سلطاتى.. »

ضاقت عينا (نبيل):

- « أستطيع زيادة المبلغ لمليون ونصف؟ »

- « لا.. »

- « مليونان؟ »

- « ولا عشرة مليون يا (نبيل بك)!.. أنت فى احتياج الآن لرجل عصابات.. وليس مدير مستشفى! »

- « أيها الوغد! »

انفعل المدير:

- « كلمة أخرى زائدة.. وسيكون لى معك تصرف آخر.. »

التقت أعينهما فى تحد.. قبل أن يقول (نبيل) بتهديد:

- « سيكون هناك لقاء ثان بيننا! »

واندفع يغادر المكتب دون حذر، كانت (فريدة) و(إبراهيم) ينزويان بأحد الأركان، شاهدته يمر..

- « كما توقعت!.. إنه هو! »

انتظر (إبراهيم) حتى اختفى ثم قال:

- « هيا بنا.. »

- « ليس قبل استعادة الهاتف.. »

- « أى هاتف؟ »

- « عندما رأيت سيجارة (نبيل) بالمكتب، دون تفكير دسست هاتفى بين المقاعد ليسجل ما سيدور بينهما بعد خروجى! »

ابتسم (إبراهيم):

- « وماذا كُنتِ ستفعلين لو لم يكن هو؟ »

- « كما ترى!.. إحساسى طلع صح! »

صمت (إبراهيم) يفكر:

- « انتظرى حضرتك بالسيارة وأنا الذي سأستعيده، لأنك لو عدتِ إليه الآن قد يشك فى الأمر! »

- « ماذا ستفعل؟ »

- « سأجبره على الخروج من المكتب! »

تنهدت (فريدة) المرهقة دون فهم.. وانتظرته فعلًا خارج المستشفى، حتى دوت فجأة صفارات إنذار الحريق!.. ترقبت المدخل بتوتر!.. فوجدت (إبراهيم) يخرج ببرود مُتناه ليجلس بجوار السائق..

- « هل كان ضروريًّا أن تُشعل المستشفى كى تجلب الهاتف؟ »

تحركت السيارة:

- « اطمئنى يا سيدتى.. إنه إنذار كاذب! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلست (أسماء) فى بلكونة غرفتها تتأمل النباتات الصغيرة التي ترعاها فى شرود، كانت مرهقة جدًّا وفى احتياج إلى النوم، لكنها قاومت تلك الرغبة كى لا ترى كوابيس جديدة..!

السؤال.. إلى متى قد تستطيع ذلك؟.. حتما ستنهار فى النهاية.. فما الحل..؟

عقلها يحمل الكثير من التفاصيل التي لا تقوى على ربطها، حتى التفكير المنطقى بدأت تفقده نتيجة الاستهلاك!.. هنا بدرت لها فكرة..!

لماذا لا تقوم بتسجيل كل ما يحدث..؟

عَل هذا يضع الصورة كاملة أمامها، أو على الأقل يحمل دليل إرشاد للآخرين، لو حدث لها مكروه!.. لقد رأت هذا يومًا فى فيلم ما..

عادت لغرفتها بحماس زائف تبحث فى الأدراج، حتى وجدت نوتة صغيرة سوداء فارغة، بدأت تكتب فيها كل ما جال بخاطرها حتى شعرت بالخواء..

تركت القلم.. ثم عادت تقرأ كل ما كتبته بعينيها، حتى توقفت عند عبارة قالها (عاصم):

- « سيساعدك (إبراهيم)! »

فكرت بصوت عالٍ:

- « (إبراهيم)!.. ما علاقته بالأمر؟ »

ضاقت عيناها كأنها تنتبه لهذا الآن فقط!.. تذكرت ارتباكه معها!.. محاولة هروبه من الحديث عن (مروة)..!

أسرعت تمسك الموبايل تطلبه، لكن سرعان ما تراجعت بعدما قررت أن الهاتف لن يصلح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت (فريدة) - كما ذكرنا - تُمثل فتاة المجتمع الراقى التي هبطت لترتبط بأحد أفراد الشرائح الأقل، منذ نشأتها الأولى كانت جميلة، شهيرة.. وتعلمت مُبكرًا كيف تكون مؤثرة.. ويتم تنفيذ مطالبها!

كل الرجال تقريبًا كان يصيبهم داء الارتباك عندما كانوا يقفون أمامها..!

الغريب أنها لم تستمتع يومًا بالأمر مثل كل النساء!.. عَفت عن الجميع حتى ظهر (عاصم)، لم يكن وقتها هو الأغنى.. أو الأحسن مظهرًا!.. لكنه كان الأكثر صدقًا ودفئًا وحماسًا.

إصرار (فريدة) عليه جعله يزداد ثقة، حتى صار ذلك الشخص الهام، الذي أصبح عليه، كان كل شىء يسير بنجاح وهدوء حتى ظهر (نبيل)..!

طبعًا كان موجود منذ البداية، لكن فجأة ظهر له وجه آخر!.. أو بدأ يقترب فظهرت تجاعيده..!

أصبح (نبيل) هو العنصر المُنغص لتلك المنظومة الناجحة التي صنعتها، صارت تخافه لسبب غير معلوم!.. نظراته!.. رائحته!.. أو حتى مجرد وجوده فى دائرة قريبة، كافٍ لأن يسبب لها التوتر..!

كم مِنْ مرة شعرت أنه يغار من أخيه، لكنها أبدًا لم تفصح عن ذلك..

مشاكل (نبيل) بدأت صغيرة، لكن تطورها السريع كان يُبشر بكارثة، حاول (عاصم) خلق عالم له عن طريق تأسيس شركة خاصة باسمه.

تحمس لشهر.. ثم عاد يُمارس انحرافه النفسى!.. غرق فى القمار، المخدرات، النساء، حتى تمكنت منه شهواته!.. وأصبح نموذجًا للإنسان الضال الذي لا يعرف ماذا يريد..!

الآن وصلت للحظة لم تكن يومًا تجرؤ على التفكير فيها؟.. أخ يريد أن يرث أخاه بقتله..!

جلست بشرود تتأمل ملامحها بالمرآة.. فلم تشعر بالدادة وهى تدخل:

- « سيدتى.. الأستاذ (نبيل) يريد مُقابلتك.. »

رغم انتظارها لتلك المقابلة، إلا أنها انتفضت!.. فلم يكن عقلها بعد سماع ذلك التسجيل الصوتى، يستطيع استيعاب ما يحدث بعد!

كيف ستتعامل معه؟.. كيف سيكون قريبًا لتلك الدرجة؟.. هذا يفوق تحملها..!!

- « سيدتى.. »

- « نعم.. »

- « قلت لحضرتك الأستاذ (نبيل) ..... »

قاطعتها:

- « سأنزل حالًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بدا الوغد (نبيل) أنيقًا أكثر من اللازم.. والذي عندما سمع وقع خطوات (فريدة)، استدار يحمل تلك الابتسامة الزائفة ويُمثل اللهفة:

- « (فريدة).. كيف حالك؟ »

تركته يقبل يدها بجمود:

- « بخير.. حمدًا لله على سلامتك.. »

تَنهُّد حَار من (نبيل):

- « أشكرك.. كم تمنيت ألا أترككم ثانية واحدة لكنها الظروف.. »

سارت بجواره حتى أقرب مقعد..

- « أقدر هذا.. شربت حاجة؟ »

- « نعم.. »

ابتسمت تتأمل كوب عصير البرتقال الذي لم يمسسه..

- « يبدو أن مشروباتنا لا تروق لك! »

(نبيل) باستنكار:

- « اطمئنى.. لقد أقلعت عن كل أنواع الخمور.. »

- « حقيقى؟ »

- « ستتأكدين من هذا بنفسك.. »

- « عظيم.. هذا خبر جيد! »

ران عليهما الصمت للحظات، قبل أن يسأل (نبيل):

- « كيف حال (عاصم)؟ »

بدأ يظهر هدف زيارته، قالت بلهجة المستسلم للواقع:

- « حالته تتراجع كل يوم.. »

بدا الأسف على وجه (نبيل):

- « لقد ذهبت لزيارته فى (دار الشرق) لم أجده! »

تنهدت بقوة:

- « لم يعد أحد هناك يود رعايته، يعتبرونه ميتًا!.. فنقلته لمستشفى آخر.. »

- « قرار حكيم.. وأين هو الآن؟ »

نظرت لعينيه مباشرة.. ثم سألته سؤالًا سخيفًا غير منطقى:

- « لماذا؟ »

رد الفعل الطبيعى لذلك السؤال، من شخص المفروض أنه يحمل مشاعر فطرية تجاه أخيه، هو الغضب وليس التبرير مثلما حدث!.. ارتبك (نبيل):

- « لرعايته طبعًا.. والاطمئنان عليه من حين لآخر.. »

كانت (فريدة) تحرق طاقة لتظل على هذا الثبات الانفعالى، شعرت بالاشمئزاز:

- « إنه فى المركز العالمى.. لكن ممنوع عنه الزيارة! »

- « لماذا؟ »

مطت شفتيها بعدم اقتناع:

- « يقولون إن هذا يؤخر حالته! »

- « كيف وهو فى غيبوبة؟ »

عادت تنظر لعينيه قائلة:

- « يقولون إنه يشعر بكل شىء حوله أكثر من الإنسان الطبيعى! »

ارتبك مرة أخرى:

- « ما هذا التخريف؟ »

- « أنا أيضًا غير مُقتنعة! »

تجاوز ارتباكه.. قائلًا بحماس:

- « ما رأيك أن نعالجه بالخارج؟.. (لندن) مثلًا؟.. هناك حالات كثيرة مشابهة تم شفاؤها.. »

أشعلت سيجارة..

- « البعض حذر من أن (عاصم) لن يتحمل النقل.. »

- « هؤلاء الأطباء يُضخمون الأمر.. »

صنعت سحابة من الدخان..

- « لا أعرف! »

نهض يُكمل دور المتعاون:

- « لو بقى (عاصم) فى مصر سنفقده، لابد من فعل شىء مختلف، فكرى فى الأمر.. وأنا جاهز وقتما تقررين.. »

جاهدت لتبتسم:

- « أشكرك.. كُنت فعلًا أحتاج لوجودك.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

12 - قبل عام..

هبط حارس (نبيل) الخاص أمام المركز العالمى الطبى التابع للقوات المسلحة من سيارة الدفع الرباعى.. ووقف بجوار النافذة الخلفية يستمع للتعليمات:

- « أريد فقط التأكد من الأمر! »

أماء الثور البشرى برأسه.. ثم انطلق نحو المبنى، قابله أحد رجال الأمن:

- « الاستعلامات من فضلك؟ »

- « ثانى غرفة يمين.. »

وصل الحارس لموظفة بائسة تكاد فترة عملها أن تنتهى، تأملته الموظفة.. وتمنت ألا يحمل معه المزيد من الإرهاق..

- « غرفة (عاصم عبد الحميد) من فضلك؟ »

- « ثوانى حضرتك.. »

وأخذت تعبث بأزرار كمبيوتر حديث أمامها:

- « غرفة (٩٨) يا فندم، لكن الزيارة ممنوعة.. »

- « شكرًا.. »

عاد الحارس يُخبر (نبيل).. والذي نظر للمستشفى لحظة ثم قال للسائق:

- « الفندق.. »

تحركت السيارة.. لحظة ظهور (إبراهيم) من خلف أحد الأشجار يتأملها تبتعد، اخرج الهاتف وطلب (فريدة):

- « لم ينتظر للغد! »

- « هل اكتشف الأمر؟ »

- « لا اعتقد.. كان حارسه يستعلم فقط.. »

صمتت تفكر:

- « والعمل يا (إبراهيم)؟.. إذا لم يعرف اليوم سيعرف غدًا؟ »

- « أخبرت حضرتك أن نبلغ الشرطة.. »

- « ماذا سنقول لهم؟.. ليس معنا شىء! »

- « والتسجيل؟ »

- « ليس كافيًا.. (نبيل) مُجرم.. أنت لا تعرفه! »

ضاقت عيناه بحزم:

- « اطمئنى.. إن شاء الله سيظل (عاصم بك) فى أمان.. الوقت معنا.. وسنسبقه.. »

- « آمل هذا! »

انتهت المكالمة، لكن قبل أن يضع الهاتف فى جيبه أتته مكالمة أخرى؟.. كانت (أسماء)!.. نظر للاسم فى تردد.. ثم فتح الخط:

- « أهلًا يا مس (أسماء).. »

دارت بينهما محادثة سريعة حتى قال (إبراهيم):

- « لقد تركت المستشفى.. »

لم تندهش أو تسأل (أسماء) عن السبب بل قالت مباشرة:

- « أريد الحديث معك قليلًا.. »

- « الآن؟ »

- « نعم.. »

صمت (إبراهيم) لحظة:

- « بعد نصف ساعة سأكون فى مركز د (طارق).. »

لم تتردد:

- « اتفقنا.. »

عاد (إبراهيم) لسيارة (نشأت) التي كانت تنتظره بشارع جانبى، دلف يجلس بجواره فى صمت، نظر له الأخير مُتسائلًا:

- « أين ستكون وجهتنا؟ »

- « مركز د. (طارق).. »

أدار الموتور المُزعج باعتراض:

- « كُنت أريد أن أنام قليلًا.. »

- « ليس اليوم.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (طارق) فى مكتبه يُمارس إحساس الاستهلاك، كان يُدرك أنه تورط فى حالة (عاصم) بإرادته، لأنه - كالعادة - لم يملك رفاهية الرفض..!

ربما بسبب فضوله الإنسانى.. طبيعته الباحثة عن المتاعب.. أو حتى جاذبية الأشياء الغريبة!.. لقد قتل الموضوع بحثًا ولم يصل لشىء؟.. فكل مرة يحدث له كل هذا!.. ويجد نفسه متورطًا فى مصيبة لا يستطيع الخلاص منها..!

- « نريد جهاز رسم مخ.. »

استدار (طارق) ينظر ل- (شلبى) و (وليد) المُتحمسين:

- « لماذا؟ »

جلس (شلبى):

- « لابد أن نعرف هل الحالة تُسجل نشاطًا عقليًّا طبيعيًّا أم لا؟ »

- « وهل يمثل هذا فارقًا؟ »

- « طبعًا!.. إذا كُنت تريد تقديم علاج حقيقى.. »

نظر (طارق) ل- (وليد) يسأله:

- « ما رأيك؟ »

- « أحيانًا أشعر أن نشاطه العقلى يفوق الأحياء!.. وأحيانًا أخرى العكس!.. وهذا غير منطقى بعد كل تلك المدة فى الغيبوبة.. »

(شلبى):

- « هناك شىء ما مازال يربطه بالواقع ويجعله مُتشبثًا بالحياة.. »

نظر (طارق) لوجوههم مُحاولًا استيعاب الأمر:

- « وما هو ذلك الشىء؟ »

(شلبى) بإثارة:

- « (عاصم) هو الوحيد القادر على إجابة ذلك السؤال.. »

(طارق) بعدم اقتناع:

- « هذه رفاهية غير متاحة، لا يوجد مال كافٍ.. »

(وليد):

- « (فريدة) لن تمانع إذا طلبت الدعم.. »

كـاد (طـارق) أن يستمـر فـى الرفض، لكـن فجـأة!.. انطلقـت صفـارة ال-(code blue) لأول مرة بالمركز..؟

اسرع الثلاثة.. فوجدوا (أسماء) تنام على سرير بجوار (عاصم).. والتمريض يقوم بمحاولة إنعاشها..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الغروب.. هذه المرة وجدت (أسماء) نفسها فى منطقة صامتة منعزلة، كأنه لا يوجد بها أحياء!.. شارع واسع مُخيف.. وصوت (عاصم) يتدخل كخلفية للمشهد:

- « هناك؟.. هناك؟ »

نظرت للسماء المُكفهرة.. وشعرت بالأمطار الطفيفة التي بدأت تتساقط..

كانت ترتدى نفس الفستان الأسود!.. وتتحرك دون وعى نحو نفس الهدف المجهول!.. الفيلا..؟

المختلف فقط هذه المرة أنها بدأت من الخارج!.. تحركت والأمطار تشتد فجأة.. والظلام يزحف.. لكن رغم هذا لم تُسرع الخطى..!

كـانت تسيـر فـى آليـة حتـى وصـلت لبوابـة كبيـرة قاتمـة.. وقرأت تلك اللافتة..؟

دفعت البوابة.. الحديقة الواسعة.. الأرض المُوحِلة.. الباب الداخلى.. الردهة إياها.. المرآة الكبيرة.. الأثاث المفروش بالأبيض.. الممر.. السلالم.. الرائحة العطنة.. الوجه المرعب.. ثم أخيرًا صرخة العودة للواقع..!

- « حمدًا لله على سلامتك.. »

تأملت الوجوه المألوفة:

- « ما الذي حدث؟ »

(طارق):

- « خمس دقائق توقف فى عضلة القلب! »

حاولت النهوض.. فشعرت بعدم اتزان..

- « تعرفين أنه ليس الآن! »

عادت تنام.. وهى تلهث وتمسك رأسها من الصداع:

- « حاضر.. »

ربت (طارق) على يدها ثم غادر العناية بصحبة (وليد).. سألت (أسماء):

- « أين حقيبتى؟ »

أحضرها التمريض:

- « تفضلى.. »

فتحتها وأخذت تبحث عن شىء ما؟.. وعندما لم تجده!.. تدخل (شلبى) الذي كان مازال بالغرفة يقول:

- « هل تبحثين عن هذه؟ »

نظرت للنوتة السوداء بلهفة:

- « نعم.. »

- « كانت بجوارك على الأرض أثناء فقدانك للوعى.. »

أخذتها.. وبدأت تدون بعض الكلمات بأصابع مرتعشة مُتعجلة!.. تأملها (شلبى) بفضول قائلًا:

- « يبدو أن هناك جديدًا! »

أنهت مهمتها فى صمت.. ثم غابت عن الوعى..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سار (وليد) مع (طارق) للمكتب وهو يفكر بصوت عالٍ:

- « نفس ما حدث فى (دار الشرق) بالضبط!.. نفس التوحد فى الأرقام والمعدلات الحيوية!.. هل يبدو لك هذا عاديًّا؟ »

عبث (طارق) فى شعره:

- « لا طبعًا!.. أنا لم أقابل فى حياتى شيئًا كهذا!.. تشعر أنهما جسد واحد! »

ضاقت عينا (وليد):

- « هناك شىء غير طبيعى يحدث؟ »

هنا.. أتاهم صوت (إبراهيم) من الخلف يقول:

- « معك حق يا د. (وليد)!.. شىء يفوق الإدراك؟ »

استدار (طارق) يبتسم:

ـَ

- « فعلًا.. لم ينقصنا سوى وجودك.. »

وصافحه مُستطردًا:

- « خير؟.. ما الذي أتى بك؟ »

- « لقد طَلبت فجأة (أسماء) الحديث معى.. فاقترحت عليها أن يكون اللقاء هنا.. »

أماء (طارق) برأسه:

- « هذا يبرر وجودها إذن.. »

تدخل (وليد):

- « ما الذي قصدته بكلامك عن الشىء الذي يفوق الإدراك؟ »

عادت الصرامة لملامح (إبراهيم):

- « سأخبركما.. لكن لابد من وجود السيدة (فريدة)!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فجأة بدأت الأمطار تتساقط.. غادر (عثمان) الكافيتريا وعاد للفيلا يردد بسعادة:

- « إنها دَخلِة الشتوية.. »

(عبد السلام) بامتعاض:

- « أَكره الشتاء.. »

- « لماذا تقف هنا إذن؟ »

- « د. (طارق) ينتظر ضيفًا.. أَمَرنِى بِاستقباله.. »

ولم يكد ينهى عبارته حتى اقتحمت سيارة (فريدة) الحديقة، أسرع (عبد السلام) يفرد فوق رأسها مظلة كبيرة مُردِدًا:

- « من هنا يا سيدتى.. »

تَبِعته حتى غرفة واسعة دافئة، تجمعت بها كل الوجوه، خلعت معطفها مُرددة:

- « مساء الخير.. »

ردوا التحية قبل أن يضيف (إبراهيم):

- « آسف يا سيدتى على إحضارك فى تلك الأجواء، الوقت لم يعد فى صالحنا، ولابد أن يتشارك الجميع كل ما لديه! »

جلست تقول بفتور:

- « المهم أن يكون ذلك بفائدة!.. من أين نبدأ؟ »

تبادل (وليد) و(طارق) النظرات:

- « من أى مكان!.. المهم أن نعرف ماذا يحدث؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هذا الجزء ترويه (فريدة):

كانت (سلمى) مخطوفة ونستعد لدفع الفدية بعيدًا عن الشرطة، ظل (عاصم) بتلك الليلة يحرق سجائر حتى رن الهاتف، رفع السماعة بلهفة يسمع دون تعليق..

- « المبلغ جاهز كما طلبت! »

لحظة صمت..

- « متى؟ »

لحظة صمت أخرى.. ثم أغلق الخط واندفع للخارج.. حَاولتُ اللحاق به، لكنه كان قد ركب السيارة واندفع فى جنون.

دون وعى.. ركبت سيارتى أيضًا وانطلقت خلفه.. لم أكن أعرف!.. إلى أين المفروض أن أذهب؟.. ظللت أسير دون وجهة، حتى مَرَرتُ فجأة على سيارة مشتعلة.. يُحاول المارة إخراج سائقها..؟

صمتت (فريدة) لحظة تتأمل وجوههم.. ثم أردفت:

- « نعم.. كان (عاصم)! »

لم أعرف وقتها كم مر من الوقت، حتى وصلنا ل- (دار الشرق)!.. وأحد الأطباء يقول:

- « البقية فى حياتك! »

بعدها لم أشعر بشىء سوى فى اليوم الثانى!.. لكن الغريب أننى فُوجِئت بأن (عاصم) مازال حيًّا، ونزيل أحد غرف العناية المركزة..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هذا الجزء يرويه (إبراهيم):

بعدما حضر (عاصم) للمستشفى مباشرة، توقف قلبه، حاول الأطباء إنعاشه لفترة طويلة تجاوزت النصف ساعة، لكنهم فى النهاية فشلوا، اعتبروا الحالة فارقت الحياة.. وتم إدخاله الثلاجة..

فى تلك الليلة كانت الأجواء باردة جدًّا، أَذكُر أن درجة الحرارة لم تتعد ال- (٩) درجات.

أيضًا لم يكن هناك أحد غيره بمشرحة المستشفى.. لذلك أَطفأت مُبرد الثلاجة.. وعُدتُ للمنزل.

لكن بمجرد النوم، بدأ ذلك الكابوس؟.. كان (عاصم) يُحاول قول إنه ما زال حيًّا..!

تكرر ذلك أكثر من خمس مرات!.. مما أَفقدنى الرغبة فى النوم.. فنزلت للجلوس مع صديق عجوز اسمه عم (إسماعيل)، حَكيتُ له فقال لى:

- « إنها رسالة! »

رجعت المستشفى بسرعة وأخرجت الجثة للفحص.. فَوجَدتُ فعلًا أن (عاصم) ما زال حيًّا يرزق..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ضاقت عينا (طارق) قائلًا:

- « أذكر تلك الأيام جيدًا!.. وقتها تحدث الوسط الطبى عن إنهاء عقود كل فريق طوارئ المستشفى! »

(إبراهيم):

- « نعم.. حينها لم تكن حضرتك قد انضممت بعد لفريق العمل.. »

أماء (طارق) برأسه يفكر:

- « الآن فهمت سبب علاقتك بالأمر؟.. أنت تشعر بالذنب؟.. لم تستطع نسيان أنك أَدخلتهُ الثلاجة حيًّا! »

(إبراهيم) فى جمود:

- « ليس هذا فقط؟.. لقد خَذلته أيضًا! »

- « كيف؟ »

- « حاول كثيرًا أن يخبرنى بمكان ابنته (سلمى)، لكن عقلى يقف حائلًا! »

ران الصمت للحظة.. فنظر (وليد) لوجه (إبراهيم) يسأله باستخفاف:

- « هل هذا كل شىء؟.. أعنى هل هذا هو الأمر الذي سيفوق إدراكنا؟ »

لم يُجِبه أحد.. فأردف بنفس اللهجة:

- « إنها قصة تصلح للخيال العلمى!.. فحتى مع افتراض صدق كلامك، كيف عرف (عاصم) مكان ابنته أصلًا؟.. وهو لم يَكُن قد سَلم الفدية بعد؟.. فحسب ما لدى من معلومات أنهم وجدوا المال معه محروقًا بالسيارة! »

(إبراهيم) بحسم:

- « (سلمى) هى التي تتصل به! »

رفض (وليد) الفكرة تمامًا:

- « وهل (سلمى) على قيد الحياة؟.. أم تتصل من العالم الآخر كى تدلنا على شخصية قَاتِلها؟ »

لم يُجبه أحد مرة أخرى.. فأضاف بحسم:

- « آسف.. هذا دَجل واضح يا سادة.. وما نفعله الآن تضييع للوقت! »

(نشأت) بتحد:

- « ليس دجل يا دكتور!.. بل روح مُعلقة تريد أن تخبرنا بشىء أخير كى تتحرر! »

نظر له (وليد) كأنه ينتبه لوجوده الآن فقط:

- « مَنْ حضرتك؟ »

- « (نشأت جعران).. روحانى.. »

(وليد) بعصبية ساخرة غير مبررة:

- « آه.. وأين درست هذا؟ »

- « العمل الروحانى موهبة أكثر منه دراسة، لكننى أؤمن بالعلم، وأتواصل إلكترونيًّا مع جامعة (يِل) الأمريكية للحصول على شهادة فى علم النفس (الأثيرى).. »

(وليد):

- « علم النفس ماذا؟ »

اعتدل (نشأت) يقول موضحًا:

- « ما يحدث هنا نستطيع إدراجه تحت نظرية (الجسم الأثيرىّ).. وهى نظرية علمية ميتافيزيقية حديثة، تختص بدراسة الروحانيَّات فقط.. فيها ينقسم الجسد إلى مادى وأثيرىّ.. وكلمة أثيريّ تعنى انطلاق الروح فى حالة عجز الجسد، فلا يعوقها ماديات أو قواعد علمية مما نعرفها، تكرار الأحلام أو الكوابيس فى ذلك العلم تُعد رسائل أو إنذار لابد من احترامه! »

- « وما الذي يَعْنيه ذلك بالضبط.. »

- « يعنى أن ما أصاب (أسماء) و(مروة) من قبل، هو من جراء محاولة (عاصم) للاتصال بهم! »

شرد الجميع يفكر، بينما نظر (إبراهيم) ل- (نشأت) بإعجاب لم يستطع مُداراته، كأنه يرى جانبًا من صديقه لم يره من قبل.. أما (وليد) فقد عاد يقول باعتراض:

- « هل تصدقون هذا؟ »

(طارق):

- « وما الذي سنخسره لو فعلنا؟ »

خلع (وليد) عنه النظارة بحدة:

- « حسنًا.. أنا خارج هذا الموضوع من الآن! »

وشرع يغادر الغرفة، لكنه فجأة وجد (شلبى) أمامه..

- « إلى أين؟ »

لوح بيده فى عصبية:

- « إنهم يتحدثون على أن (عاصم) يتصل عقليًّا ب- (أسماء)! »

نظر فى عينيه يقول بحسم:

- « أخشى أن هذا قد يكون صحيحًا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (نبيل) بغرفته يرمق كأس الفُودكا بيده.. ويذكر مرحلة الصغر، حيث كان الجميع لا يرى سوى (عاصم).. وينتقده هو.

نعم.. كان طفلًا يُخطئ.. لكن ليس لتلك الدرجة من الإنكار والعقاب، الذي كان يُمارس عليه. هذا دفعه للعنف المُبكر كمحاولة للإعلان عن نفسه، حتى صار الأمر جزءًا من تكوينه.

الغريب أن (عاصم) لم يكن يومًا طرفًا فى المشكلة، بل على العكس كان دائم المساعدة.. وهذا ما كان يعذبه أكثر.

فوجود (عاصم) كان يُظهر فشله، لذا لم يكن يطيق مساعدته. وصل به الأمر إلى مرحلة إفشال أى فرصة يُقدمها!

كان يريد النجاح بعيدًا عنه ليُثبت أنه ليس أقل منه.

قرر العمل منفردًا.. فتورط فى هذا القرض.. وحان وقت السداد. ذهب ل-(عاصم) كالعادة بعد أى مصيبة، لكنه لأول مرة فى حياته يُقرر عدم مساعدته، كان يريد أن يُلقنه درسًا كى ينضج!

دلف الثور البشرى لغرفة (نبيل) ينفض عنه المطر.. قائلًا:

- « (عاصم بك) ليس فى المركز العالمى، هناك حجز حقيقى باسمه، لكن الحالة ليس لها وجود، الغرفة (٩٨) خالية من أى مرضى! »

ضاقت عينا (نبيل) وهو يفيق من سُكره:

- « يعنى إيه؟.. (فريدة) تخدعنى؟.. لماذا؟ »

بقى الحارس صامتًا حتى أضاف بعصبية:

- « ابحث عنه.. ولا تَعُدْ قبل أن تعرف مكانه.. »

انصرف الحارس.. بينما جرع (نبيل) ما بقى فى كأسه بعنف.. وهو يتمتم:

- « إنه المحامى الوغد.. أكيد أخبرها أننى عرفت بأمر الوصية.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قال (شلبى):

- « أعرف أن هذا قد يتنافى مع قواعد العلم، لكن العقل ليس له حدود. كُتب علم النفس - عبر تاريخها - مليئة بتلك الظواهر الغريبة الاستثنائية التي لا تحمل تفسيرًا إلى الآن! منها الاتصال الأثيرىّ.. والذي أجمع الخبراء على أنه ظاهرة غير قابلة للتطبيق على الجميع »

كان وجه (وليد) تقريبًا هو الوحيد بينهم الذي يحمل علامات الاعتراض. ليس تعنتًا ولكن لأنه تربى على التحليل العلمى المادى.. فهو لم يدع عقله يومًا فريسة لتلك الأمور الغيبية غير القابلة للتفسير. ما يحدث باختصار هو أن (وليد) شخص مادى، لأقصى درجة.

سأل باستدراج:

- « وكيف يتطابق هذا مع حالة (عاصم)؟ »

(شلبى):

- « التعلق؟.. يبدو واضحًا تمامًا أن (عاصم) كان شديد التعلق بابنته (سلمى).. وعند فقدها سَبب له ذلك ضغطًا نفسيًّا عنيفًا.. فَاق تحمله.. »

- « كل الناس لديها شخص ما تتعلق به! »

- « التعلق هنا مَرضى.. »

تدخلت (فريدة):

- « نعم.. كان (عاصم) متطرفًا جدًّا فى حبه ل- (سلمى).. »

(وليد):

- « مـازالت هنـاك ثغـرات لابـد من ملئها، مثلًا لماذا يحدث الاتصال الآن ب- (أسماء).. فى حين لم يكتمل مع (إبراهيم) و (مروة)؟ »

(شلبى)..

- « يبدو أنهما لا يمتلكان القدرة الكاملة على فعل ذلك.. »

- « بمعنى؟ »

(إبراهيم):

- « لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.. »

(وليد) بسخرية:

- « وهل (عاصم) فى فضائه الغيبى لا يستطيع الفرز أو انتقاء من يستحق أن يتصل به..»

راح (شلبى) يفكر:

- « لا أحد يستطيع الإجابة عن هذا السؤال بشكل حاسم، لكن الذي أستطيع تأكيده أن (عاصم) كان يحاول دائمًا التناغم مع أقرب روح يشعر أنها مناسبة.. فكلما كان الشخص بسيطًا ومباشرًا ويتمتع بدرجة عالية من الشفافية والنقاء الداخلى كان مؤهلًا لنجاح الاتصال.. »

(طارق):

- « لماذا نفترض أن (عاصم) هو الذي يقوم بالاتصال؟.. أليس من الممكن أن تكون (سلمى) هى التي تفعل؟ »

رد (شلبى):

- « هذا مستبعد، لأن كل الروايات أجمعت على أن (عاصم) كان الوحيد الذي فى الصورة.. »

(طارق):

- « (سلمى) ظهرت ل- (أسماء)!.. وهذا يفتح الباب لكل السيناريوهات.. »

لم يملك (شلبى) ردًّا.. فقال (وليد) بشكل عصبى:

- « لدى سؤال أخير.. أين الدين من كل هذا؟.. ألا ترون أن ما تخوضون فيه من غيبيات. ليس من حقكم مناقشتها؟ »

ابتسم (شلبى) فى غموض:

- « الله سبحانه وتعالى كل فترة يُظهر لنا أمورًا تجعلنا نفكر.. ونشعر أننا مازلنا صغارًا أمام علمه وعظمته التي ليس لها حدود. دعنا نتعامل مع الأمر على أنه هكذا إلى أن يثبت العكس، لن نخسر شيئًا.. »

هنا انطلق للمرة الثانية بالمركز إنذار ال- (code blue)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

13 - عبد السميع..

(عبد السميع) بواب فيلا نائية بضواحى الجيزة، لم يجد الرجل أهدأ من تلك المنطقة للاختباء من الثأر، كان يحرس المكان بتشكك دائم.. ولا يفتح إلا بحذر شديد.

يُشبه لحد كبير شخصية (بكرى) الصعيدى التي جسدها الراحل (على الشريف) فى فيلم (عادل إمام) الشهير (الإنسان يعيش مرة واحدة). ساعده سَفر أصحاب الفيلا للخارج منذ عام تقريبًا.

كانت مهمته تنحصر فى رى الحديقة بشكل منتظم، دون الدخول إليها أبدًا تحت أى ظرف. تلك كانت تعليمات المالك الأخيرة الصارمة قبل السفر لأوروبا.

(فرحانة) زوجته البائسة.. والتي أتت إلى الدنيا فقط كى تعانى، كانت تُقيم معه بتلك الغرفة الصغيرة بالحديقة.

أسرة صغيرة لا يشعر بها أحد تريد العيش بسلام، لكن عادة هذا لا يتحقق، لابد من بعض المُنغصات!

انتهى (عبد السميع) فى ذلك اليوم من رى الحديقة وعاد يستريح، أخذت (فرحانة) تقلب الطعام فوق النار قائلة:

- « الآن سيبدأ الصوت! »

غسل (عبد السميع) يده يتمتم:

- « أستغفر الله العلى العظيم، ألم نتفق على عدم الحديث فى هذا الموضوع مرة أخرى؟ »

ثم مسح يده.. وذهب للجلوس فى مكانه المُفضل بجوار الشرفة، استمرت (فرحانة) فى تقليب الطعام..

- « ها هو.. اسمع؟ »

وبالفعل بدأ ذلك الصوت المنتظم ينبعث من داخل الفيلا أو جوراها، صوت خبط مكتوم مُلح، الحقيقة لم يستطع (عبد السميع) طيلة عام تحديد مصدره.

توصلت (فرحانة) لتبرير يناسب عقلها، إنهم الأسياد يسكنون الفيلا المهجورة، حتمًا يريدون شيئًا ما.

صَمْتُ (عبد السميع) جعل (فرحانة) تبدأ فى الضغط أكثر لجلب المشايخ، استجاب الرجل بعدم اقتناع.. ليُريح دماغه من تلك العجوز المُخرفة.

تم ممارسة كل الطقوس، قراءة القرآن.. ذبح الحيوانات.. رش المياه المسحورة، لكن الصوت أبدًا لم ينقطع!

أحيانًا كان يبدأ عند الفجر.. وأحيانًا فى الصباح، لكن الغالب كان عقب رى الفيلا مباشرة!

كان الصوت يبعث فى الجميع التوجس والخوف، إلا الفتى (محروس) ابنهم الوحيد المُتمرد. لم يكن الأمر يعنيه على الإطلاق!.. بل على العكس، وجد فيه مصدرًا للتسلية وكسر الملل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

باشر (طارق) أعمال المركز بشكل عادى فى اليوم التالى.. وعقله لا يغادر التفكير فى حلقة حوار أمس، قَلب مُفكرة (أسماء) فى يده، لدرجة أنه لم يشعر ب- (عمران) الذي دخل المكتب يحمل كراتين أجهزة رسم المخ..

- « الأجهزة يا دكتور.. »

انتفض قائلًا بإحراج:

- « د. (شلبى) ينتظرهم فى العناية.. »

ثم رافقه إلى هناك. استقبلهم الأخير بحماس:

- « ضعها هنا.. »

انتظر (طارق) حتى غادر (عمران).. ثم قال:

- « ألن ترتاح قليلًا؟.. أنت لم تنم منذ أمس! »

بدأ (شلبى) فى إخراج الأجهزة وإعدادها للتوصيل:

- « الوقت ليس فى صالحنا.. »

كان يشبه دكتور (فرانكنشتاين) فى حماسه. توقف يرمق الشاشات:

- « انظر؟.. لقد أصبح يسيطر عليها تمامًا، الأرقام فى حالة تَوحُّد منذ تسع ساعات. كل محاولات الإفاقة أو حتى تحسين درجة الوعى، لا تستجيب لها.. »

- « وما تفسيرك لهذا؟ »

(شلبى) فى حسم:

- « احتمال من اثنين؟.. إما أن (عاصم) فقد السيطرة.. أو أنه يحتضرِ! »

عـاد (شلبـى) يُكمـل التوصيـل.. بينمـا جلس (طـارق) يفتـح مفكـرة (أسماء)..

- « هل لديك تفسير لآخر كلمات كتبتها؟ السلام؟.. البوابة؟.. الرخام الأسود؟.. هذا مُحير.. »

- « لم أملك الوقت الكافى لسؤالها.. »

أخذ (طارق) يردد الكلمات بصوت عالٍ للمرة الألف.. ويفكر:

- « تعرف؟.. هذه الكلمات لا تصلح سوى لشىء واحد فقط؟ »

- « ما هو؟ »

- « عنوان! »

هنا.. انتهى (شلبى) من توصيل الأجهزة.. ووقف ينتظر النتائج، برقت عيناه:

- « انظر؟.. نفس التطابق يحدث حتى على مستوى نشاط المخ! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتح محامى شركة (عاصم) خط الهاتف وهو يتثاءب:

- « أهلًا (فريدة) هانم.. »

الأخيرة دون مقدمات:

- « أريد عنوان (نبيل).. »

فرك عينيه وأجاب:

- « الهيلتون.. »

- « ترك الفندق.. »

- « غريبة دون أن يُخبرنى.. »

صمتت.. فأضاف:

- « خير يا (فريدة) هانم؟.. هل أستطيع المساعدة؟ »

- « أحتاجه فى أمر مهم.. »

شعر أنها لا تريد الحديث.. فقال:

- « فى الحقيقة منذ عودته لم أعرف له عنوانًا سوى الهيلتون.. »

سألت بتلقائية:

- « وفيلا الجيزة؟.. ألم يذهب إلى هناك؟ »

- « (السلام)؟.. حقًّا لا أعرف.. »

انتفض قلب (فريدة) بمجرد سماع الاسم.. فعندما قرأ (شلبى) عليها أمس تلك الكلمات الأخيرة التي كتبتها (أسماء) قبل سقوطها فاقدة للوعى، شعرت أنها سمعت كلمة (السلام) من قبل بدائرة قريبة منها. ظلت طيلة الليل تقلب فى أوراق (عاصم) وخطاباته، حتى سطع فجأة ذلك الضوء فى ذاكرتها!

فيلا (نبيل) بالجيزة كانت تحمل ذلك الاسم، لكنها لم تكن متأكدة..

- « هل تذكر العنوان؟ »

- « لا.. لأن من قام بإجراءات تسجيلها أحد محامى المكتب، على العموم كلها ساعة وسأكون هناك وأرسله لك.. »

تعمدت ألا تُبدى المزيد من الاهتمام:

- « أشكرك.. »

- « تحت أمرك يا (فريدة) هانم.. »

ثم أغلق الخط واتصل ب- (نبيل).. الذي كان غارقًا فى النوم على الأرض وبجانبه زجاجات الخمر الفارغة. إلحاح الهاتف جعله يعود للوعى قليلًا، أخذت يده المرتعشة تبحث عن مصدر الإزعاج كى تُخرسه.. فتح الخط وعاد للنوم:

- « ألو.. ألو.. (نبيل بك).. (نبيل بك).. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فاض صوت (فريدة) بالعصبية والعذاب.. وهى تتصل ب- (طارق) قائلة:

- « (السلام) اسم فيلا بالجيزة مِلك (نبيل) أخوُ زوجى! »

(طارق) بارتباك:

- « وماذا يعنى هذا؟ »

(فريدة) بانفعال جارف:

- « يعنى أن (نبيل) متورط فى خطف (سلمى) أيضًا!.. مثلما هو متورط فى محاولة قتل (عاصم)، الغريب أننى كنت أشعر بهذا طيلة الوقت.. وأكذب نفسى! »

حاول تهدئتها:

- « الصبر يا (فريدة) هانم.. فاحتمالية أن يكون كل هذا وَهم، مازالت قائمة.. »

- « أرجوك لا تدافع عنه، هذا الإنسان دمر حياتى وسأنتقم منه! »

صمت ثوانى لامتصاص غضبها.. ثم قال:

- « تأكدى أننى سأقف معك للنهاية، كل ما أطلبه هو الصبر حتى الغد.. »

أخذت نفسًا عميقًا:

- « ماذا ستفعل؟ »

- « سنستعلم عن الأمر، هل لديك عنوان للفيلا؟ »

- « لا.. لكنه سيصلنى آخر اليوم.. »

عاد يفكر:

- « لا.. هذا سيضيع الوقت.. ولابد أن نتحرك الآن.. »

وأنهى الاتصال.. واستدعى (عبد السلام) و(عمران)..

- « يبدو أننى سأتحول إلى رئيس عصابة قريبًا! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكن هناك مَلجأ ل- (محروس) صاحب التسعة عشر عامًا، سوى نصبة شاى المعلمة (تُوحة)، إنها امرأة تُحاول طيلة الوقت استحضار روح (تحية كاريوكا) فى دور صاحبة القهوة التي تقهر الرجال، لكن يبدو أنها مازالت غير مُقنعة.

كان (محروس) يُمثل عينة من شباب جيله الضائع عديم الفرص، فهو لا تعليم.. ولا شَكل.. ولا حتى إمكانيات عقلية سوى ادعاء الفهلوة.

سقط منذ الصغر أسير الخوف والحذر الزائد من الناس.. فلم يستطع تكوين صداقات حقيقية يعتمد عليها، كل علاقاته بدت سطحية وتنتهى بالرحيل.

فى نصبة المعلمة (توحة) كان يُفرغ ذلك الكبت.. وينتظر طيلة اليوم للقيام بأى مهمة، سمسار شقق.. استئجار سيارات.. توصيل شىء، كان يكسب جيدًا، لكنة ظل يؤمن بأن فرصته الحقيقية لم تأتِ بعد.

دلف (عبد السلام) و(عمران) إلى النصبة فى إطار جولتهما بالمنطقة للبحث عن المجهول، كانا يلعبان دور المخبر بشكل سيئ مثير للريبة.. والضحك أيضًا!

نظر لهم فتى القهوة.. قائلًا بحذر:

- « أى أوامر يا رجالة؟ »

وأخذ يمسح المنضدة بروتينية.. قال (عمران):
- « شاى.. وحجر شيشة تفاح.. »
كاد الفتى أن ينصرف..
- « اسمع ياا.. اسم الكريم إيه؟ »
الفتى ببرود:
- « (حودة).. »
تدخل (عبد السلام):
- « هل تعرف أى سمسار عقارات قريب من هنا يا (حودة)؟ »
الفتى بنفس الحذر:
- « خير؟ »
- « أبدًا.. كُنا نريد تأجير فيلا قريبة من هنا لعمل مهندسين الشركة.. »
هرش الفتى رأسه:
- « مَنْ سينفعكم فى هذا (محروس).. »
- « وأين نجده؟ »
صرخ الفتى ينادى عليه وهو ينصرف:
- « (محروس).. الرجال يبحثون عن سكن.. »
ثم همس فى أذنه:
- « لن أتنازل عن عشرة فى المائة.. »
أزاحه (محروس).. وسحب كرسيًّا ليجلس بجوارهما:
- « (محروس عبد السميع).. سمسار عقارى.. »
بعد التحية سأله (عمران):
- « لقد علمنا أن هناك فيلا فى المنطقة يريد صاحبها تأجيرها.. »
أشعل (محروس) سيجارة:
- « أى فيلا؟.. وفى أى منطقة؟ »
- « كل ما نعرفه أن اسمها (السلام).. »

أصاب (محروس) التوتر:

- « غريبة!.. أنا لم أسمع بها من قبل!.. هل أنت متأكد؟ »

- « نعم.. »

وأخذ يتفحصهم قبل أن يعود بسؤال:

- « هل أستطيع أن أسأل لماذا تريدون هذه الفيلا بالتحديد؟.. الفيلات المعروضة للإيجار هنا كثيرة! »

أسرع (عبد السلام) يُجيب:

- « الجرائد.. كان هناك إعلان فى الأهرام.. »

(محروس) بتهكم:

- « وهل يوجد إعلان بدون عنوان!.. أو حتى رقم هاتف؟ »

تدخل (عمران) بارتباك واضح لإنقاذ الموقف:

- « طبعًا كان هناك عنوان مفصل، لكننا للأسف فقدناه.. »

تضاعف الشك داخل الفتى.. وهو ينهض قائلًا بعنف مُفاجئ:

- « لا يوجد فيلات هنا تحمل هذا الاسم.. بعد إذنكم.. »

- « إلى أين؟ »

- « تذكرت موعدًا.. »

وانصرف بسرعة دون أن يعطيهم فرصة أخرى للكلام، أحضر (حودة) المشروبات وهو يردد:

- « الشاى يا رجاله.. »

انتظر (عمران) حتى وضع الأكواب.. ثم سأله:

- « أخبرنى يا (حودة)، هل تعرف فيلا قريبه من هنا اسمها (السلام)؟ »

أجاب ببساطة:

- « نعم.. لماذا لم تسألوا (محروس)؟.. إنه مقيم فيها! »

تبادل (عبد السلام) و (عمران) نظرات اللهفة..

- « لقد انصرف قبل أن نفعل، المهم أين تقع تلك الفيلا؟ »

- « فى نهاية هذا القطاع.. لكنها مسكونة بالعفاريت.. »

- « كيف؟ »

تحمس الفتى.. وأخذ يخبرهم بكل ما لديه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خرج (نبيل) من حمام غرفته الخمس نجوم ينتابه صداع شديد، رشف جزءًا من قهوته المركزة وأخذ يجفف شعره، بعدها التقط الهاتف ليعرف من اتصل به أثناء نومه!

أخذ يُمرر كل شىء بشكل روتينى، حتى استوقفته رسالة نصية من المحامى تقول:

« اتصلت (فريدة) تسأل على عنوان فيلا (السلام).. »

ضاقت عيناه بشدة.. ونظر لوجهه فى المرآة يُحدثه مثل أى مختل نفسى:

- « ماذا يعنى هذا؟ »

أجاب نصفه الآخر:

- « قد لا يعنى شيئًا! »

عاد الصوت الخبيث:

- « وقد يعنى أنه حان وقت دفع الثمن! »

انسكبت القهوة.. وانهار على المقعد الذي خلفه يُمارس كل طقوس هواجس الانفصام وجنون الارتياب المتأخر (paranoia)، دفن رأسه بين يديه يبكى.. يبتسم.. يتحدث، حتى نهض مرة أخرى ينظر لوجهه بالمرآة، نظرة أخيرة تشبه نظرة (دوريان غراى) لملامحه قبل النهاية.. ثم حطم المرآة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يستطع (محروس) رغم لامبالاته بالحياة، أن يمنع نفسه من التوتر، وهو يدخل على أبيه يلهث، نظرت إليه أمه (فرحانة) تسأل:

- « ماذا بك؟ »

لم يُجبها بكلمة وظل يلهث، نظرت فى وجهه بقلق.. ونادت على زوجها، حضر الرجل.. والتقت عيناه بعينى ابنه، كان يعرف تلك النظرة جيدًا..

- « ماذا فعلت هذه المرة؟ »

- « اثنان أغراب يسألان عن الفيلا! »

تغير وجه (عبد السميع):

- « أين؟ »

- « تركتهم على قهوة (تُوحة).. »

دلف الرجل للداخل يحضر بندقيته..

- « كُنت أعرف أنهم سَيصلون إلينا مهما هربنا! »

ولوَلتْ الزوجة و(عبد السميع) يتجاوزها للخارج:

- « اصمتى.. »

استوقفه (محروس) بجدية نادرًا ما تُصيبه:

- « إلى أين يا أبى؟ »

- « لن أستطيع الهرب من الثأر أكثر من هذا يا بنى.. »

(محروس) بقوة:

- « أنا لم أعد صغيرًا!.. دَع هذا الأمر لى.. »

- « لا.. لقد فعلت كل هذا لحمايتك.. »

هنا دوى فجأة صوت نفير سيارة قوى، انتفض (عبد السميع) وخرج يشهر بندقيته:

- « مَنْ؟ »

- « افتح يا (عبد السميع).. »

تذكر صاحب الصوت على الفور.. وأسرع يفتح البوابة بلهفة وسعادة:

- « (نبيل) بك!.. حمدًا لله على السلامة يا سيدى.. »

وجرى نحوه يُصَافحه. صَافحة (نبيل) ببرود عبر الزجاج:

- « كيف حالك؟ »

- « بخير.. »

- « هل أتى أى أحد يسأل عنى؟ »

- « كثيرون.. بعد سفر حضرتك مباشرة أتى ..... »

قاطعه (نبيل) بضيق:

- « أقصد فى الأيام الأخيرة؟.. هذا الأسبوع تحديدًا؟ »

- « لا يا سيدى.. لم يسأل أحد من شهور.. »

صمت (نبيل) ثوانى يتأمل الفيلا.. ثم قال:

- « اسمع.. أى أحد يسأل عنى أنا لست موجودًا.. قُل لهم باع الفيلا.. مفهوم.. »

صُدم (عبد السميع) من ذلك الاستقبال السيئ.. وهو يردد:

- « مفهوم يا سيدى.. »

توقفت السيارة أمام باب الفيلا الداخلى.. وهبط (نبيل) يقول لحارسه الشخصى:

- « ستبقى هنا.. ممنوع دخول أى أحد خلفى حتى أنت.. »

اكتفى الثور البشرى بإماءة من رأسه.. وهو يتحسس مسدسه باستمتاع، فى حين سار (نبيل) نحو الفيلا بخطوات آلية متثاقلة.. ووقف يُخرج المفتاح.

شعر للحظة أنه لا يريد الدخول.. فهو لم يكره العودة إلى مكان فى حياته مثلما يفعل الآن!!

دلف للردهة المظلمة وأغلق الباب، يتأمل مسرح أبشع جرائمه.. فهنا صار ملعونًا إلى الأبد.. وفقد إنسانيته دون عودة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

14 - سلمى..

تعثر (نبيل) فى سداد أقساط القرض الضخم الذي أخذه من عِدة بنوك.. وبدلًا من أن يتفوق على أخيه (عاصم) مثلما كان يطمح، لم يجد أحدًا غيره يذهب إليه لينقذه.

كم شعر بالإهانة والإذلال أمام نفسه، عندما رفض (عاصم) لأول مرة مساعدته، كانت صدمته الكبرى.. والتي بسببها وجد مُبررًا لما فعل؟

ترقب خروج أخيه.. وتسلل للحديقة يقول ل- (سلمى) التي تلعب بقطتها:

- « ما رأيك أن نذهب للملاهى؟ »

تحمست ببراءة:

- « لكن بابا وماما فى الخارج.. »

- « سنخبرهم فيما بعد.. »

تركت (سلمى) قطتها وذهبت معه..

- « هل سنلعب كل الألعاب؟ »

- « طبعًا.. »

ركبت السيارة وأحضرها للفيلا المهجورة تلك و .... حبسها فى البدروم!.. كان أبشع تصرف قام به فى حياته. لم ينسها يومًا وهى تردد قائلة بفزع عند رحيله:

- « عمى (نبيل).. لماذا لم نذهب للملاهى؟ »

- « هناك أشرار فى الخارج وسنختبئ هنا.. »

- « لكننى خائفة.. »

أغلق الباب الحديد بقسوة وذهب!!

- « عمى (نبيل) لا تتركنى!.. عمى (نبيل)؟.. عمى (نبيل)؟ »

لكن صوتها الضعيف ابتلعه فراغ الفيلا. بدأ سريعًا إجراءات التفاوض مع (عاصم)، الذي استجاب دون إقحام الشرطة فى الأمر.

لكـن يـوم التنفيـذ احترقـت السيـارة ومعهـا المـال!.. أيضًـا صدر الأمر باعتقاله!.. لم يدر حينها ماذا يفعل؟

صَعد على أول طائرة وهرب للخارج، بعدما قرر أن يخبر (فريدة) بمكان (سلمى) عند وصوله.. ولا يعود إلى (مصر) ثانية.

وهو على الطائرة شرب الخمر.. شرب بشدة!.. لدرجة أنه غاب تمامًا عن الوعى لمدة ثلاثة أيام!.. فاق يصرخ ويبكى.. لقد قتل (سلمى)، كيف ستبقى حية كل تلك المدة دون طعام أو ماء؟

رفع سماعة الهاتف وحاول الاتصال ب- (فريدة)، لكنه سمع ذلك الصوت الشيطانى بداخله يردد:

- « بما سَيُفيد اكتشاف جثتها؟.. سوى إضافة المزيد من الجرائم لسجلك؟ »

أجاب الصوت الآخر:

- « من حق (فريدة) أن تعرف مصيرها.. »

- « ستنسى مع الوقت.. »

وضع السماعة.. بعدما أقنع نفسه أن ما حدث لم يكن مُخططًا له!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فَاضت عينا (نبيل) بالدموع دون انفعال.. وأخذ يُكمل طريقه نحو البدروم. أضاء القبو.. مَشى بحذر.. وفجأة استقبلته رائحة عضوية غير محتملة!

- « ما هذا؟ »

تأمل ما خلف البوابة الحديد بدهشة!.. كان يتوقع بقايا جثة متحللة، عظام، فئران؟.. لكنه شعر أن هناك مَنْ يحيا هنا!

تعرفون ذلك الإحساس الذي ينتاب البعض أحيانًا، عندما يشعر بوجود كائن حى آخر غيره بالمكان!.. إنه شىء غير مفهوم يتعلق بالغريزة.

اعتادت عيناه الظلام.. وأخذ يتفحص المكان بمزيد من الدقة، حتى لمح بصعوبة تلك الأقدام المُتسخة التي تقف فى رُكن مُظلم؟

- « مستحيل؟ »

تراجع للخلف برعب يلتقط أنفاسه!.. لم تتحرك القدم.. وتجمد الموقف. استجمع شجاعته وعاد يبحث عن وسيلة لفتح البوابة، لم يجد.. فبدأ يحاول دفعها حتى أصابه الإعياء وارتعشت يده..

توقف يلهث قائلًا:

- « مَنْ هناك؟ »

لم يتلق إجابة.. فأعاد السؤال بصورة أعنف وأشد عصبية:

- « مَنْ هناك؟.. إذا لم تُجب سأحرق المكان! »

هنا.. تحرك الشىء فى الظلام ببطء حتى اتضحت ملامحه، كانت (سلمى) تقف أمامه فى صورة بشعة!!.. التصق ظهره بالحائط يتمتم برعب:

- « مستحيل؟.. مستحيل؟ »

وأخذ يهرول صاعدًا لأعلى فى جنون..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان لدى (محروس) يقين مُطلق أنه سينجو من أى مصيبة!.. لأنه ببساطة مر بالكثير من الصعاب فى حياته!

عاد (عبد السميع) للغرفة يقول بفتور:

- « لقد عاد (نبيل بك) صاحب الفيلا.. »

(فرحانة) بحماس:

- « الحمد لله.. هذا سيحمينا.. »

لم ترق العبارة ل- (عبد السميع):

- « الحامى هو الله.. »

(محروس):

- « فى كل الأحوال لابد أن نستعد.. »

(عبد السميع) بانفعال:

- « لن يكون لك علاقة بهذا الموضوع.. مفهوم؟ »

- « لا أستطيع تركك وحيدًا يا أبى.. »

أمسكه (عبد السميع) من شعره بقسوة:

- « أبوك ليس جبانًا!.. وأنا غير مستعد لفقدك الآن بعد كل تلك السنين.. »

التقت أعينهما فى صمت انفعالى!.. وفجأة؟.. عاد الصوت المكتوم يتردد بقوة فى أرجاء المكان!.. كان سريعًا ومُلِحًّا.. ولا يتوقف!!

انتفضت (فرحانة):

- « هذه أول مرة نسمعه بالليل.. »

استرق (محروس) السمع:

- « نعم!.. هذه أول مرة فعلًا نسمعه فى هذا التوقيت! »

- « يبدو أن وجود (نبيل بك) داخل الفيلا أثارهم!.. احفظنا يا رب؟ »

وأسرعت تُشغِل إذاعة القرآن الكريم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تراجع اهتمام د. (وليد) بحالة (عاصم)، بعدما شعر فجأة أن مركز (أجزون)، صار يجمع حزمة من الأوغاد الجادين المؤمنين بالميتافيزيقا!

دلف للعناية بفتور:

- « فيه جديد؟ »

(شلبى):

- « ليس سوى تأكيد تطابق النشاط العقلى! »

تأمل (وليد) مؤشرات الأجهزة.. ثم قال فى رفض:

- « حتمًا هناك تفسير علمى لهذا، غير الخبال الذي تتحدثون عنه! »

- « ما يحدث استثنائى.. ويتطلب خيالًا لاستيعابه.. »

(وليد) بتهكم لا يناسبه:

- « وهل شخصية مثل (إبراهيم) تملك هذا الخيال الكافى؟ »

ابتسم (شلبى):

- « يبدو أنه يُمثل لك مشكلة! »

(وليد) بترفع:

- « وجوده بيننا وهو يفتقد لأبسط قواعد المعرفة العلمية، إهانة شديدة لنا جميعًا، خاصة صديقه أبو العريف (رأفت) هذا! »

- « اسمه (نشأت).. »

(وليد) بانفعال كوميدى:

- « تشعر أنه مخبول!.. أو كائن فضائى أتى الأرض لإنقاذها! »

قبل أن يعلق (شلبى)، أعطت الأجهزة إنذارًا بتوقف قلب الحالتين، قال بإثارة وهو ينظر لشاشات الرصد الإلكترونية:

- « هناك اتصال جديد يحدث؟!.. فكلما ذَهبتُ نحو اللاوعى، تتحرر الروح.. ويصبح الاتصال أكثر وضوحًا وعمقًا!.. وليس هناك أعمق من الموت المؤقت.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلس (نبيل) فى صحن الفيلا بانهيار يبكى، لم يكن عقله يستطيع استيعاب أن هذا يحدث.. ضيق بالتنفس.. ألم فى الصدر..

- « ليس هذا حقيقيًّا!.. إنه شبح!! »

بدا صوت الخبط المعدنى داخل الفيلا أكثر دويًّا.. استمع فى ترقب قائلًا:

- « الأشباح لا تصدر أصواتًا! »

اعتدل فوق المقعد يفكر بعذاب:

- « لكن كيف عاشت كل تلك المدة؟ »

أجابه الصوت الهستيرى بداخله:

- « لم يعد هذا مهمًّا الآن!.. إنها فرصتك الأخيرة للتطهر والحفاظ على بقايا إنسانيتك!.. اسمع؟.. إنها تستغيث؟.. تطالبك بحقها فى الحياة؟ »

استمر فى عذابه.. ومر الوقت.. وغربت الشمس.. وهو لم يقرر بعد؟!.. هل سيرضى بدفع الثمن؟.. أم سيستمر أنانيًّا؟

نهض يترنح نحو المطبخ، أخذ يبحث - بعدم اتزان - عن أى شىء معدنى يصلح لكسر قفل.. فوجد مفتاحًا كبيرًا..

وقف يلتقط أنفاسه برهة وعاد للقبو.. رفع الحلقة المعدنية بصعوبة ثم هبط، الآن يقف أمام البوابة المعدنية..

فاضت عيناه ثانية بالدموع عندما شاهد (سلمى) تقف وراء القضبان تنتظره!

لم يقو على الحديث.. أو حتى النظر إليها..

مسح دموعه.. استحضر قوته.. وأخذ يضرب على القفل عدة ضربات متلاحقة، جعلت ألم صدره يزداد!

سَكن يلتقط أنفاسه.. تراجعت (سلمى).. ثم عاد يضرب فى جنون، حتى توقف فجأة يمسك قلبه، سقطت الأداة المعدنية على الأرض.. ثم هو..

شعر بشلل فى ذراعه الأيسر وخنجر حاد يخترق قلبه، زحف حتى وصل إلى البوابة يبتسم فى سخرية هستيرية:

- « يبدو أننى لن أحضر النهاية! »

اقتربت ببطء تجلس على الجانب الآخر.. وتتحسس يده برقة..

فاضت دموعه أكثر:

- « سامحينى.. »

أماءت برأسها فى حيرة وصمت:

- « لماذا لا تتحدثين؟ »

أشارت بما يعنى أنها فقدت صوتها..

- « اطمئنى.. ستنتهى معاناتك الليلة! »

ثم أخذ نفسًا عميقًا.. وحاول النهوض. وقف بصعوبة والذبحة الصدرية تعتصر قلبه أكثر، لكن بمجرد أن صعد عدة درجات فقد السيطرة تمامًا.. وهوى يتقلب على السلم، حتى عاد يستقر بين أصابع (سلمى).. ابتسم بمرارة زائفة تصلح كنهاية:

- « دائمًا يخوننى الوقت! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

15 - النهاية..

دخل الظلام.. ونزلت الأمطار بشكل أكثر قسوة من أمس، كأنها تتحالف مع الجميع لوضع تلك اللمسة الغامضة على الأمر.

وقف والد (أسماء) يُسبح الله ويتأمل ابنته - عبر زجاج العناية - التي لا تتوقف عن التشنج كل خمس دقائق، فى الوقت الذي اجتمعت فيه (فريدة) ب-(طارق). كانت أكثر هدوءًا وضبطًا انفعاليًّا مما هو مُتوقع، كأنها قررت شيئًا!

- « هذا هو كل ما نجحنا فى الوصول إليه.. »

نفخت دخان سيجارتها..

- « ماذا تقترح؟ »

- « لا أعرف!.. أقترح أن نستعين بالشرطة.. »

أطفأت السيجارة ونهضت..

- « ليس لدينا وقت؟ »

- « إلى أين؟ »

- « لم يعد هذا يهمك..»

دلف (وليد) يردد بقلق:

- « إننا نفقد (أسماء)؟ »

تحرك الجميع للعناية.. و(وليد) يضيف:

- « لقـد توقف قلبهـا اليـوم مرتيـن، لكـن هـذه التشنجات لا نستطيع إيقافها؟ »

فكر (شلبى):

- « لو استمر هذا سيموت العقل.. »

- « والحل؟ »

- « إنه يسيطر عليها تمامًا دون وعى!.. ولابد من قوة لتحريرها؟ »

تدخل (إبراهيم):

- « دعنى أحاول.. »

- « هذا خطر!.. فقد لا يرضى بك بديلًا، حينئذ قد ..... »

أضاف (نشأت):

- « يقضى عليك.. »

- « بالضبط.. »

تأمل (إبراهيم) (أسماء) التي تنتفض:

- « لن نتركها هكذا.. إنه اختيارى؟ »

رانٍ الصمت و(إبراهيم) يستلقى على السرير الثالث.. قبل أن يعود (شلبى) قائلًا:

- « تبقى مشكلة؟.. الاتصال لا يحدث بشكل مؤثر إلا عندما يتوقف القلب.. »

قال (وليد) بعدم اقتناع:

- « بسيطة.. أستطيع إحداث هذا! »

- « كيف؟ »

- « عقار (اللانوكسين).. »

اعترض (طارق):

- « هذا خطر جدًّا!.. أحيانًا لا يعود القلب! »

- « ليس أمامنا سواه.. »

سأل (نشأت).. وهو ينظر لوجوههم:

- « ماذا يفعل هذا العقار؟ »

أجاب (وليد) ببساطة:

- « يُزيد نبضات القلب إلى ما فوق ال (٢٠٠) نبضة فى الدقيقة، فيتوقف القلب.. »

(إبراهيم):

- « سأتحمل المخاطرة! »

ثم أغمض عينيه مُستطردًا:

- « هيا؟ »

نظر له (وليد) باحترام!.. وندم على كل كلمة قالها فى حقه..

ثم بدأ العمل..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بمجرد أن دخل (إبراهيم) الحلقة بعقار (الفاليوم) ثم (اللانوكسين)، عادت (أسماء) للوعى مباشرة!.. نهضت تزدرد لعابها وتسعل بشدة.

مسحت عرقها.. وبحثت عن والدها بين الوجوه حتى وجدته. أرسلت له ابتسامة شاحبة.. ثم سألت:

- « كم الوقت الآن؟ »

أجابها (طارق):

- « العاشرة مساء.. »

أشار (عمران) ل- (طارق) عبر زجاج العناية.. فخرج يقول له:

- « لقد انصرفت (فريدة) هانم.. »

وقف (طارق) يفكر ثوانى:

- « أعرف أين ستكون!.. قم بتجهيز عربة الإسعاف.. وأحضر (عبد السلام) »

أسرع (عمران) للتنفيذ، بينما خرجت (أسماء) من العناية تترنح، استقبلها الأب بحنان:

- « حبيبتى.. »

- « أريد العودة إلى البيت.. »

تدخل (طارق) يقول بتعاطف:

- « ليس حلًّا! »

الأب ببكاء:

- « ما العمل إذن يا دكتور؟ »

(طارق) بعد لحظة صمت:

- « هناك طريقة واحدة فقط قد تحررك من كل هذا؟ »

(أسماء) بضعف:

- « ما هى؟ »

- « خطوة لابد من فعلها الآن؟ »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- « إننا نفقد (إبراهيم).. لابد من مساعدة خارجية.. »

- « لا.. لن أفعل هذا ثانية.. »

كان (وليد) صاحب الرفض.. بعدما اقترح (شلبى) أن يُدخل (نشأت) الحلقة..

- « (إبراهيم) يقترب من العشر دقائق.. »

(وليد) بحسم:

- « سنفقد الاثنين لو فعلت؟ »

انطلق عقل (شلبى) يفكر بسرعة:

- « ما رأيك أن نذهب ب- (نشأت) لأبعد نقطة من اللاوعى دون توقيف للقلب؟ »

- « كيف؟ »

- « بجرعة مضاعفة من عقار (الفاليوم)!.. هذا سَيُحقق قَدرًا من الاتصال قد ينجح فى تحريره.. »

وافق (وليد) على الاقتراح.. وغاب (نشأت) عن الوعى، فى حين لم يتوقف (شلبى) عن محاولة سحب (اللانوكسين) من جسد (إبراهيم) وإنعاش قلبه.

الفراغ السرمدى..

- « ما الذي أتى بك؟ »

- « وَعدتك أن لا أتركك! »

- « لكننى لا أريد العودة.. »

- « لا تقل هذا!.. مازال أمامك الكثير لتفعله.. »

ابتسم (إبراهيم):

- « لم يعد هناك شىء يستحق المعاناة.. »

- « لا تستسلم هكذا.. »

وجاهد (نشأت) كى يلمس يد (إبراهيم)، لكنه ابتعد أكثر..

- « لا تحاول.. إنها النهاية! »

صرخ (نشأت):

- « (إبراهيم)؟.. (إبراهيم)؟ »

لكن صورته تشبحت.. واختفت تمامًا..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ارتعشت يد (فريدة) بانفعال، وهى تُوقف سيارتها على بعد أمتار قليلة من فيلا (السلام)، كانت الأمطار قد هدأت قليلًا..

فتحت حقيبتها تلمس مسدسًا صغيرًا ثم هبطت، استقبلها (عبد السميع) الذي لَفَّ رأسه ووجهه بِشَال صعيدى ضخم:

- « أى خدمة أستطيع تقديمها؟ »

قالت بثبات..

- « أريد مقابلة الأستاذ (نبيل) صاحب الفيلا.. »

نظر لها فى توجس:

- « (نبيل) بك ليس هنا.. »

- « غريبة!.. هل ذهب وترك سيارته؟ »

نظر للحديقة.. ثم وضع يده على بندقيته..

- « إنه لا يريد مقابلة أحد.. »

- « أنا زوجة أخيه (فريدة).. أخبره فقط أننى هنا.. »

- « اتصلى به.. »

- « الموبايل ليس به إشارة، يبدو أن المطر يُعيقه، أرجوك أنا أحتاجه فى أمر ضرورى جدًّا.. »

- « آسف.. لا أستطيع تكسير أوامره.. »

لم تشأ (فريدة) إهانة نفسها أكثر من هذا، انسحبت والدموع تتحجر فى عينيها عائدة للسيارة، فى اللحظة التي وصل فيها (طارق) لأول الشارع.

ضاقت عينا (أسماء) فجأة تردد:

- « توقف؟ »

قال (طارق):

ـ

- « لقد توقفنا فعلًا.. »

تجاهلته.. وارتجلت تمشى فى شرود.. فهبط الجميع معها.. و(عمران) يقول:

- « سيارة (فريدة) هانم! »

نظر (طارق) نحوها، دون أن يترك (أسماء) التي تعيش الآن كابوسها فى الواقع. لم يكن البواب قد غادر مكانه بعد، استقبلهم يسأل بخشونة:

- « خير؟.. أى خدمة؟ »

تأمل (طارق) لافتة الفيلا المصنوعة من الرخام الأسود، فى اللحظة التي عادت فيها (فريدة) تسحب مسدسها وتصرخ:

- « افتح البوابة؟ »

كان (محروس) يتابع كل ما يحدث عن بُعد.. وعندما لمح (عبد السلام) و(عمران) خرج يصرخ:

- « احترس يا أبى.. هؤلاء مَنْ كانوا يسألون عن الفيلا فى الصباح! »

توتر الرجل.. وأطلق عِيارًا ناريًّا فى الهواء..

- « قُلت لك ألا تخرج.. »

صوت العيار جعل حارس (نبيل) الخاص يأتى مُسرعًا:

- « فيه إيه؟ »

تَلفت البواب.. فَهجم (عبد السلام) و(عمران) يشلان حركته، بينما تراجع الحارس للداخل عند رؤيتهما.. وأغلق البوابة بإحكام..

انزوت (أسماء) مع أبيها بجوار سور الفيلا، حتى سيطر (عمران) و (عبد السلام) على الموقف.

أخذ (طارق) المسدس من (فريدة) بهدوء قائلًا:

- « مِنْ فَضلك؟ »

تَشنجت وتلاحقت أنفاسها وهى تعطيه له. بعدها ذهب للبواب يستطرد:

- « انهض.. لن يؤذيك أحد.. »

تبادل البواب وابنه (محروس) معهم النظرات الحائرة.. ثم سأله:

- « ماذا تريدون؟ »

تدخلت (فريدة) بعصبية:

- « دخول تلك الفيلا! »

نهض البواب يسأل:

- « لماذا؟ »

لم يُجبه أحد!.. فقال (محروس) بحماس انفعالى، بعدما ذهبت من رأسه مخاوف الثأر:

- « لم يَعد هذا من شأننا يا أبى، إنهم عائلة واحدة، دَعهم يُصفون خلافاتهم.. »

اقتربت منه (فريدة) تنظر فى عينيه قائلة بانفعال:

- « (نبيل) خطف ابنتى الوحيدة.. واحتمال أن تكون جثتها بتلك الفيلا! »

اتسعت عينا البواب فى فزع:

- « أستغفر الله العظيم! »

أضاف (محروس) بِغل:

- « لم أرتح يومًا ل- (نبيل) هذا؟.. كُنت أشعر دائمًا أنه يُخفى شيئًا ما؟ »

(طارق):

- « المهم الآن.. كيف سندخل الفيلا؟ »

أشار (محروس):

- « هذا الحارس مُسلح.. ولن يدعكم تمرون.. »

- « والعمل؟ »

نظر (محروس) للفيلا التي يكرهها بشدة.. يفكر:

- « أعرف طريقًا خلفيًّا.. »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الخطة تعتمد على ذهاب (عمران) و(عبد السلام) مع (محروس) لتسلق سور الفيلا من الجهة الشمالية ومُباغتة الحارس، بينما يبقى (طارق) عند البوابة لشغله.

تحسس (عبد السلام) المطواة وهو يتمتم:

- « ستكون نهاية هذا الحارس لو فكر فى المقاومة! »

(عمران) بسخرية:

- « يبدو أنك لم تره جيدًا!.. إنه ثور بشرى! »

- « ثُور على نفسه! »

كتم (عمران) ضحكته.. و(محروس) يمسح المكان بعينيه قبل أن يقول:

- « من هنا! »

وأسرع يتسلق السور برشاقة.. تَبِعه (عمران) و(عبد السلام). بعدها وقف يستكشف المكان من جديد قبل أن يردف:

- « الآن سنفترق.. »

- « لماذا؟ »

- « لتصير فرصنا أفضل! »

تبادل (عبد السلام) و(عمران) نظرات الريبة.. ثم قال:

- « سيبقى (عمران) معك.. وأنا سأذهب مُنفردًا! »

- « كما تريدون.. »

شهر (عبد السلام) المطواة قائلًا بحماس:

- « اليوم سَتَسِيل بعض الدماء! »

كتم (عمران) ضحكته مرة ثانية.. ثم قال:

- « أشعر أنها ستكون دماءه! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان لدى الحارس تعليمات واضحة بعدم دخول الفيلا، أيضا مَنع دخول أى أحد، لكن بعد إطلاق النار، تغير الوضع.. ماذا سيفعل..؟

حاول دخول الفيلا لم يستطع!.. حاول الاتصال ب- (نبيل) لم يستجب..!

كان الهاتف يعطى جرسًا للنهاية ولا يرد..!

لم يملك سوى البقاء أمام المدخل والاستنفار الأمنى، حتى سَمِع صوت خطوات تقترب، ويحاول صاحبها أن تكون حذرة!.. شهر مسدسه وذهب للاستطلاع.. لكن فجأة طار المسدس من يده أثر ضربة مُباغتة من جذع شجرة..

حاول استعادته.. فظهر (عبد السلام) بالمطواة يحول دون ذلك..

تأمله الحارس بغضب.. وهجم يحمله مثل الأطفال، صرخ (عبد السلام) وهو يُلقى به من ارتفاع ثلاثة أمتار..

صَدم الأرض يصرخ:

- « أهاااااا.. »

عاد الحارس يمسكه من ملابسه.. ويكيل له عدة لكمات متتالية فى أنفه وفكه، حتى تحول وجهه لكتلة من الدماء.. هنا سَمع صوتًا آمرًا يأتى من خلفه يردد:

- « اتركه؟ »

استدار الحارس ببطء ليجد (طارق) يُصوب نحوه مسدس (فريدة)، استسلم على الفور.. لحظة ظهور (محروس) و(عمران) اللذين قيدا حركته تمامًا..

بعدها ذهب الأخير يساعد (عبد السلام) على النهوض:

- « قُم يا أسد! »

قال (عبد السلام) باستهلاك:

- « أنا أعرف صاحب هذا الصوت! »

لم يقاوم (عمران) ضحكاته هذه المرة:

- « يبدو أنك فقدت الذاكرة؟ »

نهض (عبد السلام) يفتح عينًا واحدة بصعوبة.. قائلًا فى مُكابرة:

- « لقد أخَذنى غَدرًا! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت الأمطار تضرب بقوة، تقدمت (أسماء) نحو الفيلا.. ومن خلفها سار الجميع بحذر، دفعت الباب الخارجى ببطء.. الردهة الواسعة.. المرآة.. الأغطية البيضاء.. ثم أشارت بيد مرتعشة قائلة بانفعال:

- « هذا الباب؟ »

نظرت (فريدة) ل- (طارق) وهى تبكى:

- « سلمى؟ »

بعدها رفضت (أسماء) تمامًا التقدم.. وبدأت تنتفض.. قال (طارق) بسرعة:

- « حسنًا.. لتبقى هنا.. »

احتضنها الأب.. بينما استمر (طارق) فى التقدم بصحبة (فريدة)، فتح الباب.. الممر.. الحلقة المعدنية.. الإضاءة الخافتة.. ثم السلالم التي تقود لأسفل.

تسارعت دقات قلب (فريدة) وهى تهبط حتى حاجز القضبان المعدنية، كَتمت صرخة كادت تفلت عندما شاهدت (نبيل) مُستلقيًا على وجهه؟.. أسرع (طارق) يتحسس وريده العنقى وينظر لعينيه:

- « لقد فارق الحياة.. »

تراجعت (فريدة) تبكى بشدة.. فربت (طارق) على كتفها وشغل ضوء الهاتف ليُزيد الإضاءة..

- « ما هذا المكان؟ »

اقترب من القضبان.. فظهرت له الصغيرة تلتصق بالحائط من الخوف!.. ضاقت عيناه فى دهشة:

- « (سلمى)؟ »

لم تصدق (فريدة) أن هناك أحدًا يُردد اسم ابنتها.. توقفت عن البكاء.. جف حلقها.. اختنق صوتها.. ثم التصقت بالقضبان تمد ذراعيها..

اندفعت الصغيرة تحتضن أمها، تراجع (طارق) وتركهم يُفرغون مشاعرهم.. ثم سحب (فريدة) برفق للخلف، نظرت له فى هستيريا وهى تردد:

- « (سلمى)!.. (سلمى)!! »

- « الحمد لله.. »

ثم أطلق الرصاص على القفل المعدنى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخاتمة

عاشت (سلمى) كل تلك المدة، على مُعلبات التونة والفول والبسلة!.. والتي كانت موجودة بكميات كبيرة فى البدروم، دون علم (نبيل) طبعًا!.. يبدو أنها كانت تخص المالك القديم. ربما لو كانت (سلمى) شخصًا كبيرًا ناضج يعرف الاكتئاب لفارق الحياة بعد أسبوع، لكنها كانت طفلة لا تعرف سوى الغريزة.

لم ينقصها سوى المياه؟.. التي كانت تتسرب كلما رَوى (عبد السميع) الحديقة، الغريب أنها لم تمرض مرة واحدة.

بعد إنقاذها ظَلت (سلمى) نَزيلة مصحة نفسية لمدة ستة أشهر، لكنها لم تستعد صوتها، يقولون مسألة وقت.

(فريدة).. بعد خروج (سلمى) من المصحة، صَفت كل أعمالها وهاجرت ل- (كندا) وانقطعت أخبارها.

(عاصم).. فارق الحياة ووجهه يحمل تلك الابتسامة الساخرة.

(وليد).. قرر قطع علاقته بالجميع كى ينسى التجربة.

(شلبى).. صار الصديق المقرب ل- (نشأت).

(عبد السلام).. لم يشف وجهه حتى الآن.

(أسماء).. تعافت وصارت صديقة ل- (مروة)، لكنها لم تقترب ثانية لأى غرفة عناية مركزة.

(عبد السميع).. عاد للبلدة واكتشف أنه كان يهرب من وهم.

(محروس).. مازال ينتظر فرصته التي لم تأت بعد.

أخيرًا (إبراهيم).. فارق الحياة ودفنه العجوز (إسماعيل) على بعد أمتار منه وهو يردد:

- « كلها ساعات وسنجتمع يا بُنى! »

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فى الكُتيب القادم سيكون موعدنا مع حزمة لا بأس بها من أوغاد الصحراء الغربية، (العلمين).. شاطئ شبه جزيرة (رأس الحكمة) الغامض.. الشيخ (موسى) الرجل القوى فى المنطقة ونشاطه المريب..!

موعدنا إن شاء الله مع (الحديقة السوداء)..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طارق عبد الملك

المعــادى

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس..

تنويه..

المقدمة

1 - تعارف مُمِل..

2 - دار الشرق..

3 - المجهول..

4 - الكابوس..

5 - الغيبوبة..

6 - شلبى..

7 - ليلة طويلة..

8 - فريدة..

9 - العائد..

10 - اختطاف..

11 - المواجهة..

12 - قبل عام..

13 - عبد السميع..

14 - سلمى..

15 - النهاية..

الخاتمة